یوکابـد

اسم الرواية: يوكابد

اسم المؤلف: يسرية سلامة

تدقيق لغوي: محمود عبد الرحيم

تصميم الغلاف: ضياء إبراهيم

تنسيق داخلي: مينا تادرس

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٦٤٨٤

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٦٨٢٩-٣٦-٧

جميع الحقوق محفوظة للناشر

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

يسرية سلامة

يوكابد

إبهار
للنشر و التوزيع

إهـداء

إلى كل إنسان لم يكن إلا نفسه، ولم يُغيّر جلده مهما كان واقعه..

الهروب

فيروز تشدو بصوتها الرخيم "شط اسكندرية يا شط الهوى، رُحنا اسكندرية رمانا الهوى، يا دنيا هنية. وليالي رضية، أحملها بعنيا، شط اسكندرية.. "

على مقهى فاروق في منطقة بحري يجلس زكي بك في ركن وكأنه يختبئ من العيون، حيث أنه غير مستحب ارتياده للمقاهي العامة مع عامة الشعب والاختلاط بهم.

نادى النادل مشيرًا بيده:

- قهوة لو سمحت
- كرملة واللا زروتة يا بيه؟
- بص أنا مش فاهم إنت قلت إيه، بس أنا عايز قهوة مظبوط
- وجب يا باشا

ثم أخفض رأسه قليلاً مائلاً بها نحو أذن ذكي بك:

- الباشا مش من هنا مش كده؟!
- عرفت منين؟
- عيب يا باشا أنا بقالي عشرين سنة هنا بنعرف -لا مؤاخذة- الأغراب من أول كلمة من اللهجة، ولهجة سيادتك يعني مش اسكندراني.

ابتسم زكي بك مع إيماءة برأسه وهزة بسيطة نحو الجانب الأيمن تؤكد كلام كامي (القهوجي) وقام كامي بنفس الإيماءة ردًا عليه، ثم ذهب لإحضار القهوة ظل ذكي بك يتابع كل شئ يدور حوله بإعجاب شديد مع حالة من التجدد والأمل في كل ما

هو جديد على مرآه وسمعه، ترامى إلى سمعه حوار بين رجلين في الخمسينيات من عمرهما يلعبان الطاولة قال أحدهما للآخر:

- على فكرة بكرة أجازة رسمية في البلد كلها
- ليه ؟ بمناسبة إيه؟
- عيد ميلادي هههههه
- هههههههه
- فاكر زمان أما كنا بنشربوا القهوة نبقى عملنا دماغ وبقينا كده آخر صياعة
- هههه بس لازم نحبس بشي (باللهجة الاسكندراني) بلبن هههه زي ما اتعودنا
- كان الواحد مننا يمشي تحت البلكونة بالساعات عشان يشوف البلطية بتاعته
- دلوقت العيال اليومين دول تتعرف في ثواني على النت ويقلب ويتعرف على غيرها، عصر السرعة
- على فكرة إنت بتقرص على الزهر
- لا والمرسي أبو العباس ما بقرص
- هههه

ابتسم زكوان –وهو الاسم المحبب لذكي بك الذي كانت تناديه به والدته وحبيبته منذ الصغر– لهذا الحوار الذي سمعه قسرًا وحالة البهجة التي يعيشونها، وتُضفي عليهم روح الشباب مع تلك الضحكات الطاردة للهموم.

ذهب زكي بك إلى محل شهير جدًا بطهي السمك الطازج في منطقة بحري ليتناول وجبة السمك، الوجبة التي يحبها جداً، ووقف في المطعم يختار الأسماك المشوية وسأل المسئول عن الشوي:

- إنتم بتشووا السمك زي ما هو كدا من غير تقطيع؟
- السمك سيادتك بنحطوه يتشوى على النار زي ما هو كدا من غير ما نفتح بطنه عشان لا مؤاخذة لسة طالع من البحر قلبه نضيف، أصله عايش في المالح، وبنفتح بطن المقلي، لكن سيادتك زي ما تحب نعملوه.

- اللي تشوفه
- عارف سيادتك حتى الأجانب واليونانين اللي كانوا عايشيين معانا هنا في إسكندرية كانوا بردك بياكلوه كده.
- آه تمام

ثم التفت إلى صوت سيدة اسكندرانية وقفت إلى جواره لتختار الأسماك التي تريد طهيها وقالت:

- "أحيه" الكابوريا حتعض البت، والنبي أنا عايزة من الكابوريا الصاحية دي اعمل لنا كيلو زي ماهي كده مش مخلية، خلاص؟

واشوي لنا كيلو بربون على "بطاطا "سمكة موسى إنت عارف مش حأوصيك وعايزين بطارخ زيت وليمون، وبسارية مقلية بس والنبي بسرعة عشان العيال طالعة من البحر جعانة حيكلوني.

ردعليها:

- حاضر يا أفندم نص ساعة إنشاء الله يكون كله جاهز.

* * *

يتجول زكوان في الإسكندرية، لا يضيع لحظة ممكن أن يستمتع فيها بجمالها فيشعر وكأن الإسكندرية عاصمة للذاكرة، بما تحويه من آثار يونانية ورومانية، تسجل بها العصور التي مرت بها، حيث اجتماع البحر والنيل والصحراء يُزيدها جمالًا، ويذكرنا بأنها كانت عاصمة لمصر القديمة، وأيضًا عنصر الإبهار المعماري في المناطق الأثرية والسياحية، وقصر المنتزة وحدائق أنطونيادس تبدو وكأنها جنة الله في الأرض.

مرت الأيام على زكوان ببطء، جاء فصل الخريف ثم فصل الشتاء وكأنه يُرادف معاني الطفولة البريئة والشوارع المبتلة بمياه الشتاء الغزيرة، والسماء المحُمّلة بالغيوم.

ينزل زكي باكراً يتأمل كل شئ حوله حتى الوجوه في الصباح فيُلاحظ تلك الإبتسامة التي يتبادلها المارّون في شوراع الإسكندرية في الصباح الباكر وهم يتخطون مجرى المياه من أثر هطول الأمطار بغزارة، والشماسي المفتوحة، والقُفّازات الصوفية والرياح

التي تدفعهم إلى أهدافهم قسرًا، لكن حين تتسرب أشعة الشمس وهو شئ نادر الحدوث في فصل الشتاء تُدفئ صقيع القلوب، وتُذيب جليد المشاعر، فيُصبح لضوء النهار مذاق حلو الطالع ممزوج بالأمل فيشعر وكأنه يعيش في قارة أخرى، فالاسكندرية غير باقي محافظات مصر، تختلف في كل شيء.

يتمنى "زكي بك" أن يجلس يوميًا على المقاهي بطول الكورنيش كل يوم مقهى مختلف، لأنه يشعر أنها بطعم الحياة وهي مواجهة للبحر مباشرة.

أحيانًا كان يترجل في شارع فؤاد "أقدم شارع في التاريخ" أي أقدم شارع على وجه الأرض، استشعر خلال تعاملاته اليومية أن الإسكندرية تعتز بنفسها طوال الوقت ويشعر أهلها بالشموخ وبالفخر، البحر يلعب دورًا مؤثرًا جدًا في طباع أهل الإسكندرية ويكوّن طابع خاص وفريد متميز ارتبط بالتسامح من ناحية والنظرة المستقبلية من ناحية أخرى، حيث أن أفق البحر يُعطي إتساع وهو يُعد قاسم مشترك لبعض الحضارات الأخرى التي جاءت إلى مدينة الإسكندرية من يونانية ورومانية.

قال في نفسه :

فعلًا اسكندرية "كوزموبوليتانية" فاعتبر نفسه سائح قاهري في الإسكندرية وظل يجوب شوارعها وحواريها وأزقتها دون ملل، فكل يوم يكتشف الجديد والجديد من أسرارها وأسرار البحر.

مر زكي جوار زفة شعبية لعروسين في أزقة منطقة بحري ووجدهم يغنون بطريقة شعبية فلكورية متميزة، ويقولون:

- ولا؟

ويرد عليه الجميع:

- إيه؟
- ولا؟
- إيه؟
- رجولية رجولية زفة شباب اسكندرانية

- ولا حمو ولا حمو الصيادين أكلو الجامبو
- ضربني آهه، ضربته آهه، قطع لي... أهه قطعت له...
- أحيه أحيه أحيه واللي ما يصلي (إخص) عليه

ضحك ذكي على تلك المفردات التي تميز الشباب الشعبي السكندري وغير موجوده في القاموس القاهري.

زكي، ذاك الشاب المصري الوسيم، ربعة من الرجال، مفتول العضلات، قوي البُنيان يأخذ لون سمار طمي النيل، شعره إلى شحمة أذنيه، وكأن عينيه لسانان ناطقان، شفتاه غليظتان، لكنهما يُخرجا كلامًا رقيقًا، جهوري الصوت، لين الخلق، سمح العشرة، ذو هيئة محترمة تتسم بالوقار، ويشغل وظيفة "رئيس نيابة المنشية".

ظل يتأمل الملفات المُلقاة على مكتبه، الدنيا مقلوبة رأسًا على عقب، ومائة تليفون ومائة أمر لأن المستشار "زكريا" سُرقت حافظة نقوده وبها الفيزا والبطاقة الشخصية وغيرهما من متعلقاته الشخصية.

تكهّن اللص بكلمة السر، فأدخل تاريخ الميلاد المدون ببطاقة الرقم القومي، وتمكن من السحب بالفيزا من ثلاث ماكينات، حوالي " ١٢" ألف جنيه في وقت واحد يفصله دقائق معدودة، لأن الماكينة لا تسمح إلا بمبلغ معين.

تم استصدار أوامر من النيابة بالتحري وتحديد مرتكب الواقعة، وتفريغ الكاميرات حول ماكينات الصرف، وتم العمل على قدم وساق لإسترداد المبلغ المسروق وتحديد هوية اللص والقبض عليه.

وفي نفس اليوم جاءت إليه سيدة تبلغ من العمر ثمانين عامًا وانخرطت أمامه في البكاء والدموع التي تتساقط من عينيها عشرات، لا تتساقط الدموع على وجنتيها في خط مستقيم بل تسير في مجريات خطوط عرضية نحتها الزمن في وجهها، فقد فقدت كل معاشها سُرقت وهي خارجة من مبني البوسطة.

- إهدي بس يا أمي اتفضلي إرتاحي
- يريح بالك يا ابني

- هو المبلغ اللي إتسرق منك كام يا حاجة؟
- (٨٠٠) جنيه ودول كل اللي أحتكم عليهم من وش الدنيا يا ابني وبعيش بيهم طول الشهر.

صمت زكي وهو متأثر جدًا لتلك المرأة العجوز الفقيرة التي ليست محل لإهتمام أحد، وكاد يبكي قلبه داخليًا من أجلها لأنها متأثرة جداً بفقدان مبلغ لا يكفي لدفع فاتورة غداء في مطعم أسماك بالإسكندرية، فأخرج المبلغ من حافظة نقوده وأعطاه للسيدة العجوز.

فقالت له تلك المرأة العجوز من قلبها:

- روح يا ابني إلهي يُسترك عند العبد وعند الرب، يطعمك ما يحرمك، إلهي يُنصرك، ربنا يجبرك ويحبب فيك خلقه ويوقف لك ولاد الحلال وما يشمت فيك عدو.

ابتسم زكي وقد أسعدته تلك الدعوات جدًا، لعل الله يتقبلها من هذه السيدة العجوز وتكون فاتحة خير عليه.

المستشار زكريا مُمتن جدًا لمجهودات زكي بك معه وأدائه لعمله بكفاءة وسرعة فائقة الأمر الذي مكّنه من استرداد ما في الحافظة من بطاقات مهمة جدًا تستلزم وقت وجهد في إعادة استخراجها.

المستشار زكريا:

- إنت منين من القاهرة يا زكي بك؟
- أنا من الزمالك يا أفندم، الجيزة تعتبر أو القاهرة الكبرى.
- أيوه إحنا بنسميها كلها مصر باللغة الدارجة، لكن جميلة جدًا الزمالك من أرقي مناطق القاهرة أنا بحبها جدًا ولي فيها ذكريات جميلة.
- من ذوق حضرتك يا أفندم
- تعرف "عمرو بك الركاد"؟! ساكن في الزمالك بردو.

- نظر إليه بابتسامة مصطنعة: أسمع عنه يا أفندم، بس سيادتك ما حصليش الشرف إني قابلته.
- على العموم أنا تعبتك معايا في موضوع المحفظة ده، وأحب أشكرك جدًا على مجهودك وتعبك معايا.
- أبدًا، لا شكر على واجب، دا واجبي يا أفندم
- ممكن تقبل عزومتي بكره على عيد ميلاد "ليا" بنتي في الفورسيزون؟
- يُسعدني ويُشرفني طبعًا إني آجي عيد ميلاد "الهانم" بنت حضرتك.

* * *

عُرِضت قضية جديدة على ذكوان ولابد أن يبدأ التحقيق مع الأستاذ "خيري" الموظف بكلية الهندسة (جامعة البحر) بعد أن حُولت له القضية من المحامي العام لنيابات الإسكندرية.

زكي يقرأ تفاصيل القضية:

"خيري متهم بالإستيلاء على "ريبونات" طبع شهادة التخرج من"كلية الهندسة" (جامعة البحر) وثروته تخطت الملايين."

زكي يحدث نفسه بصوت مسموع:

بتبيع الشهادات للعرب من غير دراسة ولا إمتحانات؟! وراكب مرسيدس كمان، لاحول ولا قوة إلا بالله، عايزين نشوف حكايتك إيه يا سي خيري إنت كمان، نفسي أنزل البحر بقى مش معقول الشغل ده كله يا اسكندرية!

وبعد مرور يومين..

زكي بك يسأل رئيس المباحث المقدم حازم:

- صباح الخير
- صباح النور يا باشا
- كنت بسأل حضرتك عن التحريات بتاعة خيري موظف الهندسة؟
- موجودة يا باشا

- طيب ممكن تديني نبذة كده لحد ما تبعتها لي؟
- طبعًا سيادتك

أولاً:

- فيه ناس كتير بتساعده في الموضوع ده، لأن المدام (مراته) بتشتغل موظفة في الإستحقاقات، وأخته موظفة في "شئون الطلبة"، وإبنه موظف في "شئون العاملين"، وبيشترك معاهم زوج أخته وهو الموظف المسئول عن (الختم) (شعار الجمهورية).
- دي عصابة بقى؟ العائلة كلها مُعينة في مكان واحد؟ نفس الكلية في نفس الجامعة؟
- نفس السؤال سألته وعرفت سيادتك إنه هو أول ما بيعرف إن فيه مكان فاضي للتعيين وسيتم الإعلان عنه، بيجيب حد من أقاربه، ويتم الاتصال بموظف مرموق بالجامعة، ثم يتعين بعقد لمدة سنة، ثم يجدد هذا العقد، إلى أن يتم تثبيته، وتم تعيين العائلة كلها بذات الطريقة في مقابل تقديم هدايا ثمينة.

قال زكي بك في سره:

"يا ولاد الإيه؟ واللي مالوش حد عنه ما اتعين!"

- شكرًا يا باشا ألف شكر
- العفو يا أفندم، تحت أمرك

* * *

" لم يُخلق البحر عبثًا بل هو ظاهرة طبيعية تعتبر علاجًا روحيًا ونفسيًا، فالنظر إلى البحر في هدوء لمدة خمس دقائق من الزمن، تعادل الجلوس عند طبيب نفسي لمدة اسبوع.فأثبتت الأبحاث إحتواء هواء البحر على الأيونات السالبة التي تؤدي لزيادة سرعة امتصاص الأوكسجين، والتي تعمل على توازن هرمون"السيرتونين" مما يؤدي لتقليل التوتر والعصبية وتحسين الحالة المزاجية، بالإضافة إلى تأثير هواء البحر على إفراز "الأندروفين" الذي يعطي شعورا بالراحة."

قرأ زكي تلك الكلمات في جريدة علمية فازداد عشقه للبحر، وجلس ناظرًا أفق البحر يتنسم الهواء النقي المحمل برائحة اليود.

الصمت يُعانق صوت الأمواج التي ترتطم بالرمال، فتذكره بالمد والجزر في مراحل حياته، وأن الإصرار على تحقيق الأهداف قوة.

وفي الطابق العلوي من فيلته المطلة على البحر مباشرة في ستانلي بالإسكندرية يحدث نفسه:

الآن الساعة الثانية عشر اليوم.يعني النهاردا، واثنى عشر ودقيقة سنكون غدًا، يعني بكرة التي أصبحت اليوم النهاردا، يعني دقيقة واحدة غيرت التاريخ وفصلت بين يومين مختلفين وممكن يتغير فيها أمور كثيرة جدًا في الكون، التعيين في سلك القضاء نقطة فاصلة في حياتي قبل التعيين في النيابة شئ والآن أصبحت شئ آخر.

زكي يتمتع بذاكرة الفيل القوية، فهو لا ينسى بسهولة مهما تمر السنين، ويزداد صلابة فيستطيع تحمل أشد الظروف قسوة، تذكر حب الطفولة لـ "يوكابد" الذي لم يفارقه لحظة، ويحاول أن يتهرب منه بكل وسيلة إلى أن لجأ إلى إصطناع حالة حب وهمية مع "ليا" ابنة المستشار زكريا.

ضغط زكي على ذر ريموت" التلفاز" ليُقلّب بين القنوات: "الستات مايعرفوش يكذبوا"، وبضغطة أخرى: "اشرب وسيطر"، ثم: مشهد من مسلسل تلفزيوني، ووجه البطل وأسنانه يملآن الشاشة، فقال:

دا إنت دمك تقيل بشكل! بتمثل بأسنانك؟ تضحك.. تندهش.. تبكي.. كله بأسنانك؟!

وضغطة ثالثة:

أشرف عبد الباقي في مسرح مصر: "سيد يا سيد"

وأخرى رابعة:

وجه لممثلة خمسينية في مشهد تراجيدي بمسلسل، وقد أجرت عمليات تجميل في وجهها أخفت جميع تعبيرات وجهها بشكل أثر على أدائها بالسلب فجعل المشاهد

يبذل مجهود ليتوصل لحقيقة تعبيرات الوجه المطموسة هل هي حزن أم فرح أم حب واشتياق فلا يشعر بها بقدر ما يسمعها من سياق الحوار.

ويُقلب بين القنوات ولا يعرف عن ماذا يبحث.

ثم جزء من حوار الرئيس "السيسي" وهو يقول:

"بيعايرونا بفقرنا، لكن أنا مش حاسكت"

وهنا وجم زكي وسافر بخياله إلى مساحات كامنة في اللاوعي، قطعها جرس الهاتف المحمول في وقت متأخر من الليل.

زكي:

- آلو

جمرجوم (والد زكي) :

- آلو يا زكوان يا ولدي
- أيوه يا آبا إزيك وإزي أمي عاملين ايه؟
- بخير يا وليدي وأمك عايزة تشوفك ما عايزش تشوفنا واللا إيه؟
- أبدًا يا آبا إنتم واحشني قوي يا آبا، لكن والله مشغول شوى يا أبوي، إدعي لي وقول لأمي تدعي لي.
- بندعي لك يا وليدي، إسمع يا ذكوان
- قول يا أبوي
- واد عمك يا وليدي وهو بيسرح بالفريسكا على شط البحر عنديكم في سكندرية، اتشاكس مع واحد من عيال المصطافين، وضربه شومه على دماغه، شوف حتعمل معاه إيه!

أنا قولت له ما تخافش، واد عمك حيطلعك زي الشعرة م العجينة، واد عمك ذكوان بقى مقامه عال قوي.

- ضربة شومه يا آبا يعني أكيد طب ساكت أطلعه منين يا آبا؟ دا أنا ممكن أتفصل فيها يا آبا، حرام عليك يا آبا، أنا رئيس نيابة مش رئيس جمهورية.

بعد أن أنهى زكوان المكالمة وأغلق الهاتف، ظل يحدث نفسه

- والله ولا رئيس الجمهورية يخرج قاتل من السجن، إنت يا أبوي بتفكرني بشهريار أما كان عايز يقبض على التاريخ، بتتعامل معايا كأني ممكن أعمل لك المستحيل.

ثم خلد في نوم عميق واستغرق في الأحلام، وكأن هناك شخص ينادي بصوت أجش:

- زكي جابر زينهم!

ثم يجيب ذكي:

- أفندم!

- إنت موقوف عن العمل ومحوّل للتحقيق.

استيقظ زكي من النوم وهو ينهج ويلتقط أنفاسه، وشرب كوب من الماء وحمد الله أنه كان كابوس.

ضرب الهواء بأصابعه، وكأنه يهش حشرة في خياله تهيم أمام عينيه، ثم تناول فنجان القهوة وذهب إلى مقر عمله "كرئيس لنيابة المنشية" بالإسكندرية،

فهو من قدم طلب النقل، حتى يعمل بعيدًا عن مكان نشأته وعائلته.

العم جمرجوم رجل صعيدي أصيل، يشقى في كوكب الأرض، ويسعى في مناكبها، أرهقته الدنيا وأحرقته الشمس، لكنه احتفظ بأهم شئ وهو ذاته، فهو رجل خلوق عفيف النفس يقوم بمهام عمله بإخلاص، مما أكسبه حب الآخرين واحترامهم لكفاحه وأمانته.

أسرار البحر

استلقى زكوان في التراس المطل على البحر وهو يستمع إلى صوت المطرب وائل جسار في أغنيته "خلي الفراق أجمل فراق في دنيا العاشقين"، ويمتزج صوته بالظلام ليملأ جميع أرجاء المكان ويسجل الزمان.

أخذ زكوان يهتز في حركات منتظمة على أرجيحة من الخيرزان والخيوط السميكة المفتولة، لتكون سرير مريح جدًا يجعله ينسى واقعه ويسافر بخياله حيث ذكريات الطفولة.

"صفية" والدة زكوان:

- ياللا يا زكوان عشان تنام يا وليدي
- ما عايزش أنام يا أماه
- نام يا وليدي لا الكلب يعضك، نام يا ولدي ياللا

ويختبيء العم جمرجوم ليصدر صوت نباح الكلب "هو هو هو"

فيسمعه زكوان، ويخشى أن يعضه الكلب فينام

استمر هذا الحال يوميًا، إلى أن اضطر العم جموجوم إلى السفر فجأة للصعيد لتقديم واجب العزاء لأحد أقاربه.فحان موعد نوم زكوان فعاودت صفية طلب زكوان بالنوم.

رد زكوان قائلاً:

- ما عايزش أنام دلوقيت يا أماه
- نام يا وليدي لا الكلب يعضك

- مش هنام يا أماه قبل ما أبوي يهوهو.

ضحكت صفية في استغراب وقالت له:

- يا واد يا مكار؟! ده أنت طلعت خطير

مرت الأيام وكان ذكوان يكبر بعقله قبل سنه، وكانت أمه صفية تخاف عليه وتوعيه دائماً:

- يا وليدي، إوعى تجاوب الواد الرقاص اللي في العمارة جارنا، دا واد شين يا بني، واد عفش، وبيعمل حاجات عفشة، أوعى لحالك يا وليدي.
- حاضر يا أماه.

زكوان وهو يلهو مع الصغار في الشارع، حيث يتجمع أبناء حراس العقارات، نادى عليه مَن حذرته منه صفيه والدته.

ينادي "مادو" بصوت ناعم، فيه شئ من الدلال المُقزز وهو يرتدي تيشرت بدون أكمام وبنطلون استريتش

مادو:

- زكوان.. ذكوان.. تعالى

زكوان:

- خير يا بيه
- أبدًا، عندي تورتة، مش بتحب التورتة ؟
- بحبها يا بيه، لكن ماعايزش تورتة
- بس تعالي وح أديك كمان ١٠٠ جنيه، تجيب حاجات حلوة
- ١٠٠ جنيه حاجات حلوة؟عشان إيه يا بيه؟

وأخذ يجري بأقصى سرعة هارباً منه، وحين عاد إلى حجرتهم فوق السطوح وهو ينهج، قص على والدته صفية ما حدث، فقالت له:

- جدع يا وليدي، رادل من ضهر رادل

انتشى زكوان وشعر أنه قويًا، وقادر على مواجهة المواقف الصعبة، وصاحب رد فعل صارم ورجولي أمام الإغراءات.

استيقظ زكوان باكراً وكان البرد قارصًا في فصل الشتاء، وذهب إلى مدرسته مع حبيبته فائقة الجمال "يوكابد"، وهي جارية صغيرة إبنة (العم أبو شنب) حارس العقار المجاور للعمارة التي يعمل بها والده "العم جمرجوم" حارسًا يلفح الهواء الصاقع وجوههم البريئة ذات البشرة الناعمة، التي لم يمسسها سوء ولم يرسم عليها الزمن أية نقوش أو آثار لخيبة أمل أو أحلام مفقودة.في يوم جديد لجيل جديد لا يدور بخلده غير هذه اللحظة في هذا اليوم.

ينفخان في يداهما حتى يشعران بالدفء في هذا الصقيع، والأرض مغسولة بقطرات الندى فيجريان، وهما يتبادلان الإبتسامات، كأنهما طائران بجناحان وقلوبهما أصفي من الحليب، إلى أن وصلا إلى مدرستهما.

مينا أحد زملاء زكوان في المدرسة الحكومية، لكنه طفل يتسم بالرذالة والإستهتار بمشاعر الآخرين.

مينا:

- هههه إيه ده يا ذكوان؟ ههه روب أمك؟

زكوان:

- اتحشم ما تجيبش سيرة أمي على لسانك، ده بالطوا يا عبيط!

- هههه بالطو إزاي يعني؟ من أنهو ناحية؟ هههه

تشاجر زكوان وزميله مينا، وضرب كلاهما الآخر، لكن ذكوان كان الأقوى، لأنه كان يدافع عن كرامته، التي أهينت أمام حبيبته الصغيرة، وأمه التي أُقحمت في الحوار باستهزاء.

ميس رجاء:

- تعالي إنت وهو هنا قدامي، في إيه؟ محدش بيرد ليه؟ ها؟ أنا سامعة؟

زكي:

- مينا بيتريق عليّ عشان البالطوا اللي أنا لابسه وبيجيب سيرة أمي
- مينا انت تتريق على زميلك ليه؟ دا أدب؟ ودي أخلاق؟ اعتذر له وإلا سأستدعي ولي أمرك الأستاذ/ عاذر
- أبدًا أنا بهزر معاه هو اللي زعل
- إعتذر له
- أنا آسف يا سيدي وآدي راسك أهه.

وقبّل رأسه ليُنقذ الموقف خشية إستدعاء ولي أمره، لأن والده رجل مُحترم وصارم، ولن يقبل بتلك السخافات من ابنه.

- روح انت يا مينا
- زكي منين البالطو ده؟
- أمي جابته لي
- ماما بتشتغل؟
- لامش بتشتغل، بس هي يعني تساعد أبوي في مسح السلالم، وطلبات السكان
- بابا بيشتغل حارس عقار؟
- أيوة في عمارة ليبون[1] في الزمالك

---

[1] عمارة ليبون على اسم مالكها الخواجة ليبون من اشهر مباني حي الزمالك يرجع تاريخ تشييدها إلى عام ١٩٢٩ وهي عمارة فخمة ولها مدخلين فرعيين وحديقة ومن اشهر سكانها فاتن حمامة وليلى فوزي وشريهان ورشدي اباظة ومحرم فؤاد

- أيوة طيب كدا أنا فهمت.

بص يا حبيبي دا روب، مش بالطو، يعني بيتلبس فوق البيجامة جوا البيت، عشان يدفيك، لكن بلاش يا حبيبي تخرج به تاني، ولا تيجي به المدرسة أبدًا، اتفقنا؟

- حاضر
- ممكن تيجي بكرة بدري نص ساعة حأعملك مفاجأة.
- حاضر

وبالفعل حضر ذكوان في اليوم التالي، وقد أحضرت له ميس رجاء معطف إبنها الأسود اللون، من الصوف الثقيل، وبرغم أنه قد سبق استخدامه إلا أنه يبدو وكأنه جديدًا، قبل ذكوان هدية ميس رجاء بعد محايلة لوقت طويل، لأنه يتميز بنفس عفيفة كوالده، ولديه القدر من عزة النفس الذي يجعل هذه المواقف صعبة جدًا على نفسيته، إرتدى زكوان المعطف وفرح به، وشكر ميس رجاء.

وظهر أمام زملائه في المدرسة وكأنه جاء مرتدياً معطفًا جديداً من بيته، ولم يعرف أحدًا بهذا السر سوى "يوكابد" حبيبته، لكن قلبه داخليًا مُنكسر مهزوم، لأنه يبدو قليلاً أمام يوكابد، خاصة وأنه دائمًا ما يعاني من الحذاء الأكبر مقاسًا من مقاس قدمه، فيحتك بقدمه التي تخرج منه في كل خطوة وتدخل مرة أخرى فتصيبه بالثآليل الصغيرة، وذلك البنطال الواسع والملابس الفضفاضة لأن مقاسات عاصم ابن سيادة " المستشار كمال" الذي يقطن بعمارة ليبون في الطابق الرابع أكبر من مقاسه.

حدث ذات يوم والأستاذ "نادر" يشرح درس في الحساب،ويسأل طلاب الفصل في جدول الضرب، فإذا بالعم جمرجوم يحبو على الأرض ويدخل الفصل راكضاً على ركبتيه.

ثم يرفع رأسه تجاه الأستاذ نادر وينبح كالكلب: " هو هو هو هو.."

الأستاذ نادر:

- إيه ده يا حاج ما يصحش كدا قوم يا حاج

- حاج؟ ياريت والله يا ولدي، دا أنا الكلب جيتلك أهه! إنت مش قولت لابني ذكوان يا ابن الكلب؟

ووضع راحة يده على صدره قائلًا: أهه الكلب واقف قدامك أهه.

- طيب زكوان ما قالش لحضرتك هو عمل إيه ؟
- عمل إيه ولدي يا استاذ عشان يبقى واد كلب ؟
- العفو يا حاج أنا ما اقصدش أهين حضرتك أبدًا، دي شتيمة عفوية غلطة لسان يعني، أصل زكوان كان بيحاول ينط من فوق سور المدرسة عشان يزوغ.
- إيه؟ ينط من فوق سور المدرسة؟ تعالى هنا يا ابن الكلب
- هههه المرة دي حضرتك اللي شتمته مش أنا، خلاص هو أخد عقابه، ومش حيعمل كدا تاني.

انتهي الحوار بين العم جمرجوم والأستاذ نادر، بأن قبل رأسه، واعتذر له مع توجيه كلمتين لـزكوان بالنهي عن ما فعل، ثم تشجيعه على المذاكرة والتفوق.

* * *

صفية:

- خبر إيه يا جمرجوم إتجنيت في عقلك أكلت وكل العيال؟

جمرجوم:

- مش إنت اللي قولتيلي يا ولَية بطّل الدُخان؟
- نهارك أغبر! تبطّل الدخان وتخلص على وكل العيال؟ لا يا أبوي إرجع للدخان تاني.

العم جمرجوم البواب رجُل صعيدي على فطرته السليمه خلوق وأمين ومُصلي، يعمل كحارس لعمارة ليبون، منذ أكثر من خمسة عشر سنوات، يجتهد في عمله يدفع من صحته في تفاني وإخلاص، لذلك كل سكان العمارة يحبونه، ويحترمونه، خاصة المستشار كمال الذى لا يبخل عليه بأي شئ لأنه يقدر كفاحه، ويحاول أن يساعده في مواجهة أعباء الحياة، ويوصيه دائمًا بالحرص على تعليم أولاده.

جمرجوم:

- اتفضلي ياستي وكل أهه ربنا بعته لنا، عشان كنتي زعلانة إني كلت وكل العيال

صفية:

- منين ده كله؟
- "أوار هانم" مرت المستشار كمال، كان عنديها عزيمة كبيرة، وسيادة المستشار نادم عليّ واعطاني باقي العزيمة كلها، بعد ما الضيوف مشيوا.

نظرت للسماء قائلة:

الحمد لله سبحانك ما بتنساش حد أبدًا، سبحانه من محبته في عبيده خلى الرزق والحياة بإيده

* * *

مينا:

- زكوان بقولك إيه ؟

زكوان:

- نعم عايز إيه ؟
- إنت لسه زعلان ؟ خلاص بقى سامحني عشان الرب يسامحني
- الرب يسامحك؟ على فكرة ما تتعبش نفسك إنت كده كده داخل النار.

أخذ مينا يبكي، وذهب لميس رجاء يشكو لها، ما قاله زكوان من كلام آذى مشاعره.

ميس رجاء:

- زكي إنت إيه اللي بتقوله لمينا ده؟
- ما قولتش حاجة
- لو سمحت ! أنا أفهمك يا حبيبي، إنت حافظ سورة الفاتحة؟
- أيوة طبعًا
- ممكن تسمعّها؟

- بسم الله الرحمن الرحيم "الحمد لله رب العالمين..."
- استنى هنا، هو ربنا قال في كتابه الحمد لله رب المسلمين؟ واللا قال الحمد لله رب العالمين؟
- قال الحمد لله رب العالمين
- طيب إنت ليه خليته رب المسلمين بس؟

إنت ما تعرفش إذا كنت حتدخل الجنة ولا لأ، ولا أحد يأمن مكر الله

الجنة، والنار، دول ملك ربنا بس، وهو وحده يعلم أصحاب الجنة وأهل النار،

يالا روح صالح صاحبك، الجنة والنار في علم الله هو وحده اللي عنده علم بأصحابهم فهمت؟

يعني غلط إنك تقول فلان، حيدخل الجنة، وفلان حيدخل النار، كله في علم الله. اتفقنا؟

- اتفقنا
- يالا صالح مينا صاحبك وبوس على راسه.

تصالح زكوان مع مينا بعد أن اعتذر له وقبل رأسه

أحلى الذكريات

يوكابد:

- زكوان!

زكوان:

- نعم يا غالية؟
- أنا نفسي أما أكبر أطلع دكتورة ونفسي إنت كمان تبقى دكتور، ونلبس إحنا الإتنين بالطو أبيض وجوانتي ونشتغل مع بعض في مستشفى واحدة.
- لالا.. أنا نفسي أبقى زي المستشار كمال بيه، دا أحسن راجل في عمارتنا وأبويا بيحبه قوي.
- يعني مش عايز تبقى معايا ونحقق حلمنا سوا؟
- يا حبيبة حققي إنت حلمك وابقى دكتورة عشان أما اتعب تعالجيني، وأنا أحقق حلمي وأبقى مستشار وتبقى إنتي زي أوار هانم مرته.
- طب شد الحبل ده يا زكوان وأوعى تقطعه.

شد زكوان الحبل أكثر من اللازم فقطعه.

* * *

ماضي.. صديق ذكوان وزميل الدراسة:

- عارف يا زكوان إيه أحلى حاجة في السطوح بتاعكم؟
- إيه يا خفيف؟ أول مرة أعرف إن سطوحنا أساساً في حاجة حلوة

- الشبكة، وحياة أمي كأنك بتكلمني من كوز الحمام بالظبط هههه، صوتك واضح وصافي أحسن من أي حد.
- تعالى اديك السطوح باللي فيه هدية.
- إيه رأيك نتقابل في "حلواز" نروح ركن فاروق مع باقي الشلة؟
- ماشي نتقابل في محطة مترو " واذي حوف" قبلها.
- ليه" واذي حوف"؟ "حلواز علطول"
- وهو كذلك حلواز علطول.

* * *

الزمالك حي عريق في القدم يفوح بعبق التاريخ، ولازال يسكنه بقايا الطبقة الأرستقراطية، التي ذاب بعضهم في شرائح المجتمع المصري الأخرى، والبعض الآخر يتحلى بنفس الصفات، والأداء الأرستقراطي المتوارث، والذي أصبح من التراث الذهبي النادر والثمين.من هذه النوعية المستشاركمال، الذي يقطن بالطابق الرابع بعمارة ليبون مع زوجته أوار هانم، وإبنيه عاصم -وكيل نيابة مدينة نصر-، وأشرف رئيس نيابة باب اللوق.

المستشار كمال:

- أنا مش فاهم بجد يعني إيه ذكوان ابن عم جمرجوم اللي كان بيشيل الحاجة يطلعها فوق للسكان، ويجيب المكواه ويمسح السلالم، النهاردا أما أقابله وهو طالع لأبوه فوق السطوح أقوله ازيك يا زكي بك؟

أو ألاقيه في يوم من الأيام معايا ممثل للنيابة العامة في جلسة؟

المستشارماهر:

- هههههه إيه هو زكى ده مش بني آدم زيه زيك يا سيادة المستشار؟
- أيوه يا سيدي وأنا قولتلك إنه حاجة غير كدا؟

ما أنا عارف إنه بني آدم زيه زيي بس فهمني تيجي إزاي دي؟

- هههه إنت عليك كلام يا كمال بك! ربنا خلق الناس سواسية وده حق كفله له الدستور.
- أيوه دا في الحساب عند الله، أمام ربنا سواسية لا فضل إلا بالتقوى، لكن في الدنيا ربنا خلقنا درجات وفضل بعضنا على بعض في الرزق، والوظيفة دي رزق، وكمان مش أي وظيفة، دي وظيفة حساسة جدًا مش مجرد مهنة تحتاج حرفية، متطلباتها كثيرة جدًا وسيادتك عارف، يعني أهل القضاء هم أهل الشرف لا أهل الدين، ولا أهل الدنيا، وظيفة القضاء لها قُدسيتها، لذلك وصفها الفاروق عمر بن الخطاب بقوله "القضاء فريضة محُكمة وسنة متبعة".
- إذا كان رؤساء الجمهورية بتوع بلدك كلهم أبناء لآباء من عامة الشعب ووظائفهم بسيطة ومتواضعة .

خد عندك يا سيدي: والد الرئيس محمد نجيب كان مزارع، ووالد الرئيس جمال عبد الناصر كان موظف بالبريد بالاسكندرية، ووالد الرئيس أنور السادات كان يعمل كاتب بالمستشفى العسكري بالسودان، ووالد الرئيس مبارك كان حاجب محكمة في محكمة طنطا، ووالد الدكتورمحمد مرسي كان مزارع.

- جميل، دا كلام جميل، يعني ممكن يبقى رئيس جمهورية فعلاً، وممكن يبقى دكتور، وممكن يبقى مهندس، ممكن يبقى أي حاجة إلا إنه يبقى قاضي، شروط الوظيفة لا تنطبق عليه، يا سيدي مواصفاته لا تسمح، رئيس الجمهورية نفسه بيقف أمام القاضي يتحاسب على أخطائه.

* * *

ارتدى زكوان بدلة "سنييه" وأحضر هدية ثمينة ليقدمها لـ "ليا" نجلة المستشار زكريا في عيد ميلادها، بالفعل ذهب ذكوان لفندق "الفور سيزون بسانستفانوا"، وحضر حفل عيد الميلاد، ولم يكن الحفل صاخبًا كما كان يخشى، بل حفل راق جدًا لكنه فخم وشيك.

قدّم ذكوان "الخاتم الذهب الأبيض" هدية للياعلى إستحياء، وهو يُقرر في ذاته ويرجو في قرارة نفسه أن يكون هذا الخاتم خاتم لخطبتها، متناسيًا حب الطفولة الذي لا يزال يسكنه، ويسيطر عليه طوال الوقت، حب يوكابد.

لكن يتنازعه أحلامه وواقعه، لتحل ليًاالجميلة محلها، حتى تليق بوظيفته كرئيس نيابة، فوالدها سيادة المستشار، وهي من وسط راق، ليست ابنة بواب مثله ومثل يوكابد.

فكان يُحدّث نفسه سرًا:

أنا هربت من القاهرة للإسكندرية حتى لا يعرفني أحد هنا، ولا يبحث في الماضي، ولا يعرف أصلي، مش معقول أتجوز يوكابد بنت عم "أبو شنب" البواب، وأخوها لم يُكمل دراسته وأصبح يعمل (صبي) ميكانيكي، بالطبع لا يليق بمركزي الآن سوى ليًا هذه الرقيقة ذات الأصل الرفيع.

تبادل زكي نظرات الإعجاب مع" ليًا"، التي تجاوبت معه لأنه يتمتع بجاذبية عالية، وهو شكلاً من ذلك النوع الذي يُعجبها، فلا ينقص شئ غير أن تتحدث معه فقط لتكتمل الصورة، تطورت الأمور بسرعة البرق ليصبح زكي وليًا بالفعل مرتبطين، لكن إرتباطًا غير رسمي، فظلا يتجاذبان أطراف الحديث في الموبايل لساعات طويلة، آناء الليل وأطراف النهار، ويتقابلان يوميًا تقريبًا.

ليا:

- أنا خريجة (الميردي ديو) وانت يا زكي خريج إيه؟
- أنا؟ ههه خريج حقوق طبعًا!دا سؤال يعني؟
- هههههه أنا بسألك على مدرستك،(الميردي ديو) دي مدرستي، مدرسة فرنساوي عريقة من سنة ١٩٢٤.

انزعج جدًا زكوان من جهله وأجاب باقتضاب: الأرومان، ثم حاول تغيير مسار الحوار:

- قوليلي يا حبيبة يعني إيه ليا؟

- ليا ده أساسًا اسم عربي ومعناه "الحزينة المرهقة".
- بس معناه صعب شوية اشمعنى اختاروا لك الاسم ده؟ ده حتى بيقولوا لكل واحد نصيب من اسمه
- بابا بيقول جدتي هي السبب في تسميته، وبابا ما كانش يقدر يرفض لها طلب الله يرحمها
- الله يرحمها ويبعد عنك الحزن والإرهاق
- آمين
- ليا أنا محتاج أشوفك
- ههه ما إنت بتشوفني كل يوم!
- لا أنا مش شايفك، عايز أشوفك بجد، أنا مش عارف لون بشرتك الحقيقي من المكياج اللي مغطيها، عاوز أبص في وشك أرتاح، عايز أعرف ملامحك الطبيعية، مش حابب كل الألوان الصناعية دي اللي أنا شايفها بتفكرني بألوان الجير بتاعة زمان، ومن فضلك مش عايز حواجبك تكون سودا قوي كدة بالشكل المُرعب دا
- أنا شكلي مرعب؟
- يا حبيبة لونها الطبيعي حلو، سيبك من موضة التاتو دي، بعد شوية من الصبغات دي حتلاقي لون حواجبك أبيض من الشيب بدري، وما تقدريش تستغني عنها طول عمرك، من فضلك إغسلي وشك تمامًا وتعالي قابليني.

اقتنعت ليا بكلام زكي، لأن مشاعرها تنجرف تجاهه بشدة، وبالفعل نفذت كل ما طلبه منها على الفور وجاءت في المرة التالية لتقابله بلا مساحيق، ولا أي شئ فعندما رآها ابتسم قائلاً:

- والله أنتِ كدا أجمل ألف مرة.أنا شايف بدر منور قدامي، أنتِ استغنيتي بجمالك عن اي مساحيق للتجميل
- بجد يا زكي؟

- قمر والله.
- حأصدق
- صدقي ونص كمان، وبعدين المكياج والمساحيق دي كلها كيماويات تعجزك وتكرمشك بدري يا عبيطة
- تصدق اقتنعت بكلامك، عارف يا ذكي أنا كان نفسي اتجوز واحد مطقطق كدا
- بسيطة خالص اتجوزي بتاع فشار.
- هههههه
- هههههه

* * *

قرر زكي ذات يوم أن يُفاجئ ليا بعد أن تأكد من مشاعرها تجاهه

زكي:

- سيادة المستشار

يسعدني ويشرفني أن أطلب إيد بنت حضرتك ليا

المستشار زكريا:

- الشرف لي يا حبيبي، لكن لازم والدك يشرفنا دي أصول، صحيح أنا مش حاسأل عنك لإن الحكومة سألت عنك كويس قوي قبل ما تقبلك في سلك القضاء، يعني وفرت علي كتير هههههه، لكن لازم الوالد يحضر.
- والدي؟!

ياريت كنت اتمنى طبعًا.سيادتك والدي توفاه الله منذ طفولتي في حادث أليم مع والدتي وهما رايحين يصيفيوا في مارينا.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، هم كانوا بيصيفوا من غيرك؟
- لا ما أنا كنت معاهم، وأنا والوحيد اللي نجيت من الحادث، وكنت صغير جدًا مش فاكر التفاصيل، وعمي هو اللي رباني.

واصل زكوان حديثه وظل يتحدث مليًا عن والده بضمير الغائب الذي لم ولن يعود.

- أعتبرني والدك يا ابني ولا يهمك هي الظروف الصعبة اللي بتصنع الرجال، طيب يا حبيبي عمك يشرفنا.
- كنت اتمنى يا زكريا بك، لكن ده عمره دلوقت ٨٦ سنة، ومش بيقدر يتحرك من السرير، وفيه تمريض في خدمته ٢٤ ساعة في سوهاج.
- ربنا يشفيه، الله يكون في عونك يا بني
- حضرتك قلت إيه؟ نقرا الفاتحة؟
- طب مش نسأل العروسة الأول؟
- العروسة موافقة
- يعني إنت أخدت موافقتها الأول يا ابن الأصول؟
- لا يا أفندم أنا بمزح مع حضرتك، بقول كده يعني عشان، أزيل أي عقبات ونتمم الخطبة بسرعة.

وبالفعل تمت الخطبة بين ليا وزكي بك في حفل عائلي، يضُم عائلة ليا، وزكي بمفرده، بلا أي فرد من أفراد عائلته، أو أصدقائه سوى صديقه ماضى.

أخذ زكوان يُراقب يوميّات المستشار زكريا بإهتمام، وكان يتقمص شخصيته في غيابه، وعرف أنه يدعو أصدقاءه يومين في الشهر، يجتمعوا فيه كلهم على العشاء، ويسهرون للصباح في الحوارات والنقاشات، وأحيانًا للعب ألعاب أرستقراطية مختلفة، فكان ذكوان مُتطلع جدًا لهذا العالم الجديد ويريد أن ينتمي إليه بكل تفاصيله، بطريقة إرتداء الملابس وأسلوب الحوار، ونوع الدخان، والأماكن المرتادة، والهوايات الراقية حسب تصنيفه ونوع البرفان، فكان يرتدي البزة الأنيقة ويقف أمام المرآه قائلاً لنفسه:

- ولد والله!.. هيبة يا واد يا ذكوان!

يحاول زكوان أن يكون في كامل هيئته ليقابل المستشار زكريا وأصدقاءه، وهم يلعبون البلياردو في حديقة الفيلا فكان أصدقاؤه مجموعة من الضباط ورجال الأعمال والمستشارين، ومن ضمن أصدقاء المستشار زكريا أستاذ في الجامعة يدعى مسعود:

- أهلًا يا بني
- أهلا يا افندم

حدث بين زكوان، والدكتور مسعود تعارف ودار بينهم حوار إلى أن تطرق بهما إلى جمال وأناقة الإسكندرية، والدكتور مسعود من تلك النوعية من الرجال التي تستمتع بالكلام، والشرح باستفاضة لأنه يعيش وحده بعد وفاة زوجته، وهجرة أولاده إلى كندا، ويفتقد الونيس الذي يمكن أن يتحدث إليه فبمجرد أن يجد فرصة للكلام لا يجعلها تفلت منه أبدًا دون اقتناصها، فكان ذكوان يسأل بدافع حب الاستطلاع، والدكتور مسعود الموسوعة العلمية يجيبه على الفور دون تردد بدافع شهوته في الكلام، فسأله زكوان عن سر تسمية سيدي بشر بهذا الاسم، فأجاب:

- منطقة سيدي بشر سميت على اسم الشيخ "بشر بن الحسين بن محمد بن عبيد الله بن الحسين بن بشر"

وهو من سلالة آل بشر، الذين وفدوا إلى الإسكندرية في أواخر القرن الخامس الهجري.وكان الشيخ متصوفًا زاهدً اعتزل العالم، وأقام في منطقة منعزلة على شاطئ البحر وسميت باسمه.

- الله دي معلومة جميلة جدًا وجديدة كمان.طيب وجليم؟
- ده خواجة يوناني اسمه "جليمو نوبولو" وكان عضو المجلس البلدي لمدينة الإسكندرية
- "أبوقير" بردو اسم غريب قوي
- ده بقى نسبة للأب "كير" وهو قديس مسيحي، ولد في النصف الأخير من القرن الثالث الميلادي، وتوفي ودفن فيها ولها اسم آخر فرعوني وهو "كنوب"، ثم تطور إلى "كانوبوس" وهو الذي عرفت به أيام البطالسة الرومان، شوف يا سيدي أنا حريحك من الأسئلة، وأقولك سر تسمية كل المناطق من غير ما تسأل، أكيد طبعًا إنت مش عارف كل الأسماء لأنك مش من هنا.
- ياريت والله أكون شاكر جدًا لحضرتك

- كرموز يا سيدي سميت نسبة لقس قبطي يدعى كارمو، وراغب نسبة "لراغب" باشا ودا كان باشا غني يملك أراضي زراعية، وحظائر ماشية في منطقة راغب، أما الشاطبى سميت نسبة لسيدى "محمد الشاطبى" أحد علماء شاطبة بالأندلس وأقام فى الإسكندرية ودفن فيها، وسيدي المرسي أبو العباس ده مقام في بحري نسبة للعارف بالله سيدى "أبو العباس المرسى" من "مورسيا" بالأندلس وعاش فى الإسكندرية ودفن فيها.
- ممم الله الله..مدد يا مرسي
- أما أبو الدردار دا مقام نسبة للصحابى الجليل أبى الدرداء من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم ومدفنه موجود فيها.
- صلى الله عليه وسلم
- أما منطقة المكس بقى دي حاجة تانية اتسمت كده نسبة لتحصيل المكوس "الضرائب" من التجار القادمين للإسكندرية من بلاد المغرب، والدخيلة دي نسبة لمدخل إسكندرية القديم.
- آه.. يا سلام يا دكتور! وهو بداخله يتأفف ويشعر بملل الحوار
- حقولك على الأزاريطة وكفاية عليك كده النهارده، أكملك المرة الجاية الباقي، الازرايطة دي بقى كلمة إيطالية تعنى الرمل و الصحرا "لازريتا
- دا حضرتك يا دكتور موسوعة ، وماشاء الله حافظ التاريخ عن ظهر قلب
- ههه عمري كله قضيته في المذاكرة والتدريس
- أنا بشكر حضرتك جدًا على المعلومات الثمينة دي
- اتشرفت بيك يا حبيبي
- أنا اللي اتشرفت بحضرتك.

* * *

ومن ضمن الحضور، المستشار/ عادل، رئيس محكمة الجنايات، اقترب المستشار زكريا من زكي بك يعرفه على عادل بك.

المستشار زكريا:

- أعرفك يا سيدي على شُريح العصر"عادل بك السنهوري" رئيس جنايات القاهرة.

يقصد "القاضي شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم" هذا الفقيه المسلم القاضي، وكان وهو في عمر الرابعة أو الخامسة، وقد اصطحبه أبوه في سفر، وفي طريقهم مع القافلة، رفض الأطفال المرافقين لهم اللعب معه، فأعرض عنهم ليلعب وحيدًا، ورآه أبوه بعيداً عن القافلة فخاف أن يخطفته قطّاع الطريق فنهره، فسمعه الغلمان المرافقين له فضحكوا عليه، ثمّ قالوا له «لنلعب معك، قف حيثما كنت، وسنختبئ ثمّ نأتيك»، ثمّ ذهبوا إلى أبيه يخبرونه أنّه عصاه، فضربه أبوه، ولم يقدر على أن يدافع عن نفسه يقسم لأبيه أنّه مظلوم، ولا يجد الدليل الثّابت، فيستمرّ في ضربه، فأثّر فيه أنّ المظلوم يحتاج إلى الإنصاف عندما لا يجد شاهداً ولا دليلًا،وتأثّر فيما بعد بقوله تعالى ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، هذا هو القاضي شريح.

زكي:

- أهلًا وسهلًا يا أفندم تشرفنا

المستشار عادل:

- أهلاً أهلاً

ثم استدار ناحية المستشار زكريا، الذي لاحظ تعلق عينا زكي بالمستشار عادل، فحاول ضمه للحوار مرة أخرى قائلًا:

- عارف يا زكي بك؟ المستشار عادل رفض ٢ مليارجنيه، هههه، ده مجموع ما عُرض عليه في تاريخه القضائي، كي يُخالف ضميره، لكن تزول الأموال ويبقى الضميرالحي، ودا سر عظمة هذا الرجل الشريف.

فحاول زكي أن يمزح معه قليلاً بعد التعارف، رغبة في إزالة الجليد، ولشعوره بأنه دخيل على هذه الصحبة كفئة وكطبقة، فرد عليه المستشارعادل بمنتهى التجّهُم

والتكبر، ليُحجّمه، ويُنذره بألا يُعاود المزاح معه مرة أخرى إحترامًا لقدرهِ ومقامه، فتعجّب ذكوان من كِبر هذا الرجل المُبالغ فيه وقال لنفسه:

- ياه إيه الكِبر دا؟ هو الراجل دا كان نفسه يبقى إله يتعبد واللا إيه؟أوف..

ورجع زكوان من هذه الزيارة المُفتعلة أساسًا "بُخفي حُنين".

قصة شهيرة من التراث العربي وهي أن رجلاً كان يُدعى "حُنين" يعمل مُصلحًا وصانعًا للأحذية في مدينة الحيرة بالعراق، وكان مشهورًا بصناعته وإتقانه وخبرته بها.

وفي يوم من الأيام مر أمام دكانه أعرابي يركب على بعير، فأناخ بعيره جوار الدكان ودخل إلى حُنينٍ يسأله وينظر للأحذية التي يصنعها ويدقق فيها وقد أعجبه أحد هذه الأحذية فسأل عن السعر، وبدأ بالجدال والمساومة حول السعر، كأنه يريد أن يشتريه، وبعد طول جدال، أخذ الكثير من وقت حُنين اتفق معه على سعر، وإذا بالأعرابي يترك الدكان ولم يأخذ الحذاء، ولم يشتريه، ولم يُعِر حُنين أي اهتمام، فسبب هذا التصرف لحُنين الغضب، لأن هذا الأعرابي قد أخذ منه الكثير من الوقت، وعطّله عن عمله، وعن زبائنه، الذين رأوه منشغلًا به عنهم فانصرفوا عنه، فخسر زبائن اليوم، ولم يبع حُنين شيء، لذلك أراد أن ينتقم من تصرف الأعرابي، وأن يفرّغ غضبه بطريقة انتقاميّة، فراح يلحق به وسلك طريقًا جانبيًا أسرع من الطريق الذي سلكه الأعرابي فأصبح أمامه بمسافةٍ، وأخذ الخُفين ووضع أحدهما على الطريق وعلى بعد أمتارٍ منه وضع الحذاء الثاني واختبأ في مكانٍ ما، يراقب منه الأعرابي عندما يصل لهذه المنطقة، وعندما وصل الأعرابي ووجد الحذاء، قال ما أشبهه بخفي حُنين، لكن هذا حذاء واحد فلو كان الثاني معه لأخذته!

فتركه وسار في طريقه،وبعد مسافةٍ وجد الحذاء الثاني، وقال كأنه هذا وذاك خفي حُنين، فأخذ الثانية ورجع للأولى كي يلتقطها، وترك دابته مكان الحذاء الثاني، وهنا كان حُنين يتربّص به فلما ترك دابته ورجع للحذاء الأول، أخذ حنين الجمل بما حمل وهرب به، وعندما عاد الأعرابي لمكان الدابة، لم يجدها وعاد إلى أهله، فارغ اليدين

وقد كان عائدًا من السفر محملًا بالأغراض والهدايا، فسأله أهله ماذا أحضرت لنا؟ فقال:

- أحضرت لكم خُفيّ حُنين.

فكان زكوان يُظن أنه سيلقى كل الترحيب والإحترام، ويعود بمكاسب معارف محترمة بعد أن يصبح أحد أعضاء هذه الفئة المميزة لكن ما حدث هو عكس ما توقع، وقد يكون داخليًا يرى دائمًا وأبدًا أنه الأقل على الإطلاق، فمهما لاقى من ترحيب سيكون استقباله داخليًا له منقوص، لأنه يشعر بل يتأكد يقينًا أنه غيرهم وليس منهم، أخذ يمشي تحت المطر في الإسكندرية، ليغسل همومه، وقلبه المتعب وعقله المرهق وحيله الدائمة التي باء بعضها بالفشل، فهذا وقت وقف القتال، وقت الهدنة من الصراعات، وقت النقاء، وقت الحقيقة، فحينما ينزل المطر من السماء يغسل الأشجار والشوارع والقلوب ويزيل الهموم، ويخمد عواصف الرياح المحملة بالغبار، يغسل الوجوه المتجملة، إنه وقت الجمال الطبيعي لكل شئ، حينما يتجرد من أي زيف ويصبح حقيقي فيكون أروع وأنقى.

لفت انتباه زكوان منظر نادر الحدوث لم يره في حياته من قبل حينما وصل بقدمية إلى نفق صغير، جوار أسوار قصر الملك فاروق (قصر المنتزة) وقد سدت الرمال مجاري صرف مياه الأمطار، وارتفع فيه منسوب المياه، فلا يستطع المارة السير في تلك المياه، وإلا وصلت عند الركبتين في ساقيهم أثر هطول الأمطار، فوجد شاب عاشق لا يرى في الكون كله سوى معشوقته في تلك اللحظات، وقد أحضر كرسيين وأوقف حبيبته على إحداهما، ثم يسير أمامها في المياه التى لم تصرف بخطوة وتغطي مياه الأمطار ساقيه إلى ركبتيه، ويضع الكرسي الآخر أمام الكرسي الذي تقف عليه حبيبته ويمسك بيدها لتخطي بقدميها من الكرسي الذي تقف فوقه إلى الكرسي الآخر دون أن تطأ قدميها الأرض، حتى لا تصاب بالبلل في صقيع شهر "طوبة".ظل هكذا يمشي بها مسافة عشرين مترًا.فقال زكوان في نفسه:

- عاشق حقيقي صادق في مشاعره، لم يهتم بأي مخلوق سوى معشوقته، ولا يهتم بصورته في أعين الناس، لم يلتفت للأعين المتعلقة به، وهو يهرول ليحمل الكرسي تلو الآخر، ويمسك بيدها وهي تخطو من كرسي لكرسي فوق المياه، نسي نفسه ولا يتذكر سوي حبيبته، لم ير نفسه لأنه يراها، ينظر إليها..ياه؟

هو دا الحب، يا سلام لما يكون الإنسان صادق مع نفسه وصادق في حبه!

انتهى يوم زكوان وهو يحمل مشاعر كثيرة لا تخلو من الألم، واستيقظ في اليوم التالي باكرًا كعادته، وذهب إلى عمله، ويريد أن يحتسي فنجانًا من القهوة حتى يزداد حضوره وتركيزه، فطلب القهوة من الساعي، ثم أمسك بإحدى الصحف اليومية أثناء انتظاره حضور الساعي حاملاً فنجان القهوة، فقرأ العنوان الرئيسي في الجريدة: "من يملك مفاتيح القهوة يمتلك السلام"

سأل زكوان نفسه:

- وما علاقة القهوة بالسلام؟

فعاود القراءة مرة أخرى فقرأ بوضوح: "من يملك مفاتيح القوة يمتلك السلام"

ضحك زكوان على نفسه، وقال:

- واضح إن القهوة مسيطرة على تفكيري، يبقى مش لازم أعمل أي حاجة قبل ما أشرب فنجان القهوة.

شهوة الإكتشاف دفعته لإستكشاف ما خفى عنه، فقام بالبحث عن جميع قضايا عزل القضاة لعدم الصلاحية في الواقع واطلع على بعضها بالتفاصيل، فوجد إحداها تقول أن قاضيًا قد تقاضي ثلاثة ملايين جنيهًا، في مقابل الحكم بالبراءة لصالح المتهم، وعزل قاضى جنايات آخر بتهمة الرشوة ٣٠٠ ألف جنيه للتخفيف من الحكم بالإعدام للأشغال الشاقة المؤبدة .

قال محدثًا نفسه:

- يا شيخ حرام عليك ٣٠٠ ألف بس؟ وعشانهم يتخرب بيتك وتبوّظ سُمعتك؟!

وعزل مستشار آخر في تقاضى رشوة مقابل توثيق قطعة أرض مأخوذة بوضع اليد مصورة صوت وصورة، عزل قاضي بسبب تقاضيه رشوة في تهريب شحنة "ذرة عويجة"، ضحك من قلبه قائلًا:

- هههههههه ذرة عويجة يا مفتري؟ ضحكتني الله يجازيك، العزل من الوظيفة بالنسبة لي يعني أموت أهون، طيب مش حأعمل ولا حاجة من دي أبدًا وعد مهما حصل، ولا حاجة جديدة غيراللي قريته دا مهما كانت مغرية إن شاء الله.

* * *

ترجل زكوان في منطقة شاطيء المعمورة، فجأة سمع صوت "كلاكس" سيارة إلتفت إليها وجدها سيارة فارهة يقودها شاب شيك جدًا سأل نفسه:

- من هذا الشاب؟ لقد رأيته من قبل!

قطع تفكيره سؤال الشاب حمدان له:

- زكوان؟ ابن خالتي صفية؟
- حمدان ابن خالتي!

أخذا بعضهما البعض بالأحضان والقبلات

- إزيك يا حمدان؟ إيه النضافة دي؟ وإيه العربية دي؟ ماشاء الله، والله ما عرفتك شكلك اتغير خالص.
- وأنا كمان ما عرفتكش، إنت كمان بانت عليك النظافة
- تعالى إركب، بس قولي خالتي عاملة إيه؟ وعم جمرجوم وولاد خالتي؟
- الحمد لله كله تمام، إنت اللي عامل إيه إحكي لي بسرعة عايز أعرف
- الأول تعالى نتغدي مع بعض؟ البيت أهو!
- أهو؟ هنا في المعمورة؟
- أيوه هنا في المعمورة، أنا قلت لخالتي تيجوا هنا بوابين في المعمورة أحسن ألف مرة ما تكونوا بوابين في الزمالك، تعالي إتفضل إتفضل.
- ما شاء الله، دي شقة يا حمدان

- أيوا احنا خليناها شقة، ما هي في البداية كانت غرفة واحدة زي الغرفة اللي إنتم واخدينها، بس إحنا بناخدها هنا تفتح على الجنينة مش فوق السطوح زيكم، وكل سنة بالراحة كده، ندخل حتة حته من الجنينة في الشقة، والحمام اللي كان بعيد بردو يدخل معاها جوه الشقة، وفي الأول نعمل شبيكة خشب نزرع عليها عنباية، وبعدين شوية شوية تبقى طوب ونسقف خشب، وشوية يبقى مسلح، لحد ما بقت شقة كاملة زي ما إنت شايف كده.آه لوحدها دور أرضي، والعمارة لازقة فيها، لكن خلاص إستوطنا ومحدش يقدر يزحزحنا من هنا، بقالنا أكثر من ثلاثين سنة ولا حد يقدر ياخدها مننا.
- طيب دي الشقة في المعمورة، العربية بقى دي جيبتها إزاي؟
- أقولك يا سيدي،العمارة دي أربع أدوار، وأصحابها مسافرين، وفيهم واحد في كندا، والباقيين اللي صحفي من مصر، واللي دكتور، واللي مهندس يعني كلهم مش فاضيين، ومسلمين لي مفاتيح الشقق، وقبل ما يجيوا بيكلموني عشان حد ينظف الشقة، و في منهم بيسكنوها مصيف لشركات البترول تجارة يعني، أنا في كل الحالات كسبان، لأن عمولتي ثابتة في التأجير، والشقة اللي صاحبها في كندا أنا بأجرها لحسابي، ولا يعرف عنها حاجة وأما يجي أهي موجودة، دا غير إني بكون قاعد على الكرسي دا، واكتب سمسارعلى يافطة صغيره، واللي عايز يسكن أسكّنه وأطلع سمسرتي.

نصب وسرقة حمدان واضحة وضوح الشمس في كبد السماء.

- بس الشقة اللي صاحبها في كندا دي حرام عليك يا شيخ
- ومش حرام الفقر اللي كنا عايشين فيه؟ هو مش محتاجها في حاجه، لو كان عايزها كان دوّر عليها.

زكوان يفكر فيما وصل إليه حمدان ابن رتيبة "خالته"، وهو بواب للمصطافين أكثر مدة تكون أسبوع أو عشرة أيام للأسرة الواحدة، ليست خمسة عشر عامًا أو يزيد مثل

والده "جمرجوم"، وهو بواب في الزمالك، ولم يتقدم خطوة واحدة، ثم أفاق على نظرة من حمدان تكاد تخترقه فقال ذكوان له:

- بس ده إستأمنك عليها
- وأنا بأدي الأمانة بدفع كهرباء وغاز ومياه وبحافظ عليها
- كدا حرام
- حرام؟هههه بس لو كانت الفلوس دي هي هي بتدخل جيبك يا ابن خالتي كانت تبقى حلال مش كده؟
- إنت بتقول إيه؟
- عنيك اللي قالت يا ذكوان مش أنا، الفقر مُر مايعرفش طعمه غير اللي داقه صلي على اللي حيشفع فيك.
- اللهم صلي عليه على العموم أنا قلتلك، اللهم إني بلغت اللهم فاخدك هههه
- هههههه

وضحكا سويا وقطع ضحكهما دخول سُمية مبتسمه بعد أن علمت بوجوده.

سمية وهي تمد يدها بالسلام:

- هاي زكوان إزيك؟ طنط صفية عاملة ايه؟

زكوان نظر إلى سُمية في استغراب، ووقف يمد يده هو الآخر ليُصافحها بالسلام، وسأل نفسه سرًا:

كيف أصبحت سُمية تلك الطفلة الدميمة بهذا الجمال والألق والشياكة؟ والأدهي أن والدته صفية أصبحت "طنط" ده في حد ذاته شئ رائع، هل هي عرفت طريق الشفط والنفخ أم كيف أصبحت بهذا الجمال؟ كل دي فلوس؟

ثم نطق بلسانه:

- إزيك يا سمية أخبارك إيه؟
- تمام الحمد لله وأنت؟
- الحمد لله يا بنت خالتي

- هههه حلوة بنت خالتي دي!زي أفلام أبيض واسود، على فكرة ممكن تناديني بساسو
- أحاول، بس بجد مش متعود، لأنك وإنت صغيرة خالتي رتيبة كانت بتناديكي تقولك: تعالي هنا يا بت يا "غبرة"،

محاولاً إحراجها وتذكيرها بماضيها، لأنه شعر بأنها تسخر منه.

تلون وجه سمية، ولم تقبل من يُذكرها بذكريات الفقر وتداعياته كلها، وردت عليه قائلة:

- خالتك رتيبة أصبحت "مدام تاتو"، صاحبة أكبر محل حلويات شرقية في المعمورة، وأنا بقى إسمي ساسو.

وجم زكوان وبُهت من كم التصنع والمبالغة في تغيير الجلد، ما هذه المفاجآت المتتالية؟!

هل هي سمات العصر؟ أم ضرورة تفرضها علينا الحياة؟ هل الجميع يفعل ذلك؟ أم نحن وأمثالنا فقط؟ ولماذا كانت هذه العائلة متقاربة جدًا حينما كان يجمعهم الفقر والعوز والجوع؟ ومن يشبع منهم يقطع علاقته بالفقراء على الفور، وكأنهم سينقلون عدوى فقرهم، أو يحسدون من مال عليهم المال وكل عليهم قد مال؟

فاستاء حمدان من قتامة الموقف، وقطع الصمت الممزوج بالذهول، وربما الحزن والأسى قائلاً:

- تعرف يا زكوان إنك ابن حلال؟ أنا كنت بدوّر عليك كنت لسه على بالي وعايز اكلمك، سبحان الله لاقيتك قدامي، أنا عايزك تشغل مخك شويه كدا، مخمخ عشان تعرف تعيش، وفكها ما تحرمش الدنيا على نفسك عشان أحوالك تتصلح، قول لي صحيح إنت إيه اللي جابك بالليل لوحدك كده؟

تذكر زكوان بيت شعر يقول:

"من عجب العُجاب في أهل عصري أن من يجهل النصيحة يُسدي"

ورد عليه:

- زهقان قلت أتمشى شويه لوحدي، كنت عاوزني في إيه؟
- بصراحة؟ زمان واحنا صغيرين، كان في بنت بشوفها عندكم مش بتروح من بالي أبدًا.
- دي مين دي؟
- بنت رقيقة كده، مش بنت بواب طبعًا زيينا، كانت دايما بتاكل "كورن فليكس"، وتفاح، وإحنا صغيرين ومرة اديتني حتة تفاح، وأما بتتكلم كأنها عصفورة بتغرد وشعرها أسود وناعم
- هههه تسنيم؟
- أيوة تسنيم
- هههه أيوه مالها أو مالك؟ أي حاجة أفهم بس
- عايز أتجوزها أنا دلوقت بقيت غني، ومعايا فلوس كتير وبدرس في الأكاديمية البحرية وحبقى ظابط بحري
- : هههههه هههههه ..تصدق ضحكتني ضحك خرجنى من حالة الإندهاش وحالة الزهق في آن واحد؟
- ليه قلت لك نكتة وحياة خالتك؟ تتعشى؟
- هههههه وهو يضحك ضحك هستيري، لالا شكرًا شبعان.
- تسنيم بنت يوسف بك أبو ليلة؟ النكتة هي إنك مش حاطط إيدك على الفرق الحقيقي اللي بينك وبين تسنيم، ومُعتقد إنه فلوس! طيب جرب كده وروح وابقى إحكي لي إيه اللي حصل معاك هههههههه.
- ده إنت بايخ بواخة يا جدع، أمال أنا بقولك ليه؟
- أنا؟ لا يُمكن أدخل موضوع زي دا وأحرج نفسي وأنا عارف الرد يا حمدان.

عاد زكوان وهو يشعر بمشاعر مختلطة، لا يستطيع تحديد ما ضايقه وما أضحكه، وما أزعجه، فهل حينما كان يضحك يسخر من نفسه قبل أن يسخر من حمدان؟

وهل انزعج من التغيير الواضح على عائلة خالته للأفضل أم هذا ما يتمناه؟ حتى لا يشعر أنه ينتمي لعائلة وضيعة؟ وهل الطفرة المادية ستطفي عليهم الرقي؟ أم سيظلون كما هم مكان الحارس الثابت مهما حققوا من مكاسب مادية.

قطع حبل افكار زكوان وتوهانه في الاجابة على تلك الاسئلة إتصال هاتفي من والدته:

- آلو يا أماه
- الحقني يا ولدي تعالى بسرعة
- خير يا أماه؟
- أبوك تعيش إنت يا بني
- أبوي؟
- أيوا عاوزاك تاجي بسرعة، وتروح تدفنه في الصعيد بالليل من غير ما حد يدرى بيك.
- ليه بس يا أماه؟ لسة فيه إجراءات لازم تتعمل وتصريح دفن.
- بقولك إدفن أبوك في السر بالليل في البلد
- في إيه يا أماه إنتي قتلتي أبوي واللا إيه؟
- إخرس، أضربك على خشمك بالصرمة يا ابن الجزمة
- طب فهميني يا أماه في إيه؟
- أبوك من قيمة ست سنين كده، زور شهادة وفاة عشان يصرف الخارجة من الحكومة، أما إنت كنت في الثانوية العامة، ومحتاج فلوس، وأنا بقبض معاشه كل شهر، صحيح حاجة بسيطة، لكن دايمة، يعني هو في نظر الحكومة ميت من سنين، بدل ما ندخل في سين وجيم.

أخذ ذكوان نفس عميق محمل بقلة الحيلة ورد على والدته:

- حاضر يا أماه، مسافة السكة.

ذهب زكوان على الفور لمحطة قطار سيدي جابر ليحجز أول قطار للقاهرة وقف في الطابور أمام موظف حجز تذاكر القطار المكيف اسكندرية/ القاهرة، الموظف وهو ينظر للشاشة ويلقى نظرة على الطابورالواقف أمام اللوح الزجاجي المسدود إلا من فتحة صغيرة لا تُسمعه جيدًا، ولا تسمع الناس جيدًا

- أيوا؟
- والنبي أنا عايز تذكرة تاني يوم العيد
- إنت عارف تاني يوم العيد حيوافق تاريخ كام؟
- لا احسبها انت بقى
- أحسبها أنا؟ طيب أحسبها، لكن أنا أعرف منين؟ إذا كانت الرؤية لسة حتبان بعد اسبوع، شوف يا أستاذ عايز تذكرتك بتاريخ كام وقولي!
- أيوا يا مدام
- لو سمحت أنا عايزة تذكرة يا تاني يوم العيد يا ثالث يوم العيد!
- يا مدام أنا أعرف منين تاني وثالث يوم العيد قولي التاريخ يا مدام
- يا جماعة حرام عليكم أنا بني آدم زيي زيكم مش كده يعني.

الجمال

يوكابد صارت فتاة في سن الربيع تُقيّد الأبصار، فمن يراها لا يستطيع أن ينظر إلى أي شئ آخر سوى جمالها، ولايستطيع أن يمنع نفسه من أن يبتسم لجمالها، أصبحت طالبة بكلية الطب (امتياز) إذا حضرت مع زميلاتها فهي ملكتهم وأجمل من فيهن، وإذا تكلمن في الدراسة فهي بمثابة معلمتهن وإليها مرجعهن.

جمال يوكابد أخّاذ يُذهب العقل وكأنها حورية من الجنة.خرجت يوكابد مع صديقتها آسيل في سيارتها، وقد ذهبتا سويًا لشراء هيكلًا عظميًا، فحاولتا كما تريان في الأفلام، أن تشترياه من المقابر فلم تفلحا في ذلك.نزلت يوكابد من السيارة مع آسيل وتحدثت إلى التُربي (المسئول عن دفن الموتى) قائلة:

- سلام عليكم

رد الرجل ناظرًا إليها وعيناه لم ترمش:

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

- :هو إحنا ممكن نشتري هيكل عظمي من هنا؟

كاد الرجل أن يفقد عقله من فرط جمالها، ولم يستطع أن يُحرك عينيه عن وجهها فقال لها:

- بقولك إيه يا دكتورة؟

اتفضلي حضرتك إركبي عربيتك، وإمشي من هنا، بدل ما أطلع أخرب بيت اللي قاعدة فوق دي (يقصد زوجته) حرام مالهاش ذنب.

ضحكت يوكابد من قلبها وانصرفت مع آسيل من المقابر إلى مكان متخصص في بيع الهياكل العظمية لطلبة كلية الطب، يوكابد تدرك أنها فائقة الجمال، لكن تخشى أن يكون جمالها جمالاً ظاهريًا فقط، لأنها تشعر دائمًا وأبدًا إنها ينقصها شيء، والحقيقة أنه ليس شيئًا واحدًا بل ينقصها الكثير، فدائمًا وأبدًا ما تشعر أنها قليلة، ولن يشفع لها جمالها بين طبقات المجتمع الراقية، لذلك ظلت يوكابد تكابد في الحياة لتحصل على مؤهل مرموق، ولتصبح شخصية محترمة في المجتمع.

* * *

عاصم ابن المستشار كمال عاشق الموسيقى وقراءة الشعر، ذلك الشاب الطويل القامة أبيض البشرة، شعره البني الناعم يمشطه بفارق مستقيم على جانب شعره، أنيق يتسم بالوقار بطبيعته والشياكة والرقي في تعامله.يرمق يوكابد -فرجينيا الزمالك- في ذهابها وإيابها، ولا يعرف إلى ماذا ستقوده تلك المشاعر وهل سيستسلم لتلك المشاعر أم سيُقاومها؟ لكن ما يشعر به شئ غريب يكبر بداخله يومًا بعد يوم، مختلط بالإنبهار والإعجاب أنها استطاعت أن تتفوق وتلتحق بكلية الطب، بالرغم من ظروفها المتواضعة ومعيشتها مع أسرتها في غرفة تحت السلم، تعتبر في نظره إنها تبدأ من تحت الصفر بعشرة أرقام، في حين أن من هن في ظروف مادية وإجتماعية أفضل منها ألف مرة من بنات عائلته وأخريات لا تجتهدن مثلها، ولا تحصلنعلى درجات عالية، بل قد تفشلن وتعشن بلا هدف أو طموح مع الاهتمامات والعادات التافهة، خاصة أن أيتن، ابنة خالته -إلهة التفاهة- في نظره، التي رسبت في الثانوية العامة ثلاث مرات، وستسافر إلى أمريكا لتدرس هناك من جديد، ثم تلتحق بأي جامعة تقبل بها.

"صفاء" الخادمة، فتاة في أواخر الثلاثينات من قاع المجتمع، تركت بيتها المكون من غرفة واحدة بالمقابر، هربًا من سوء معاملة زوجة أبيها، شخصية مقززة للغاية، لم تنل قسط من التعليم ولم تنل حظ وافر من الجمال، ماهرة جدًا في الأعمال المنزلية، عاصم لا يحبها أبدًا، لأنه لاحظ عليها تصرفات مريبة وغير طبيعية، ظن أنها تسرق شيئًا، لكنها دائما وأبدًا ما تسترق السمع، دائمة التنصت على كل ما يقال في منزل المستشار

كمال، وتوهم كل فرد من أفراد العائلة انها مخلصة له، وتوافيه بجميع الأخبار التي قد تهمه، لكنها بالطبع تقبل بفعل أي شئ وكل شئ في مقابل الحصول على المال، هذه المفارقات تجعل عاصم يستعجب من طبيعة الأشخاص، وحرص والدته على وجود الخادمة "صفاء" بالرغم من كراهيته لأفعالها.

عاصم لا يجرؤ على مصارحة يوكابد بمشاعره، ولا يعلم إذا كانت تبادله نفس المشاعر أم لا، خاصة أنها كانت دائمة الظهور مع ذكوان بن "العم جرجوم"،منذ ان كانو أطفال صغار إلى أن شبوا سويًا.

فكر عاصم في طرح الأمر على والده (المستشار كمال) للمناقشة من باب الدردشة

عاصم:

- بابا

المستشار كمال:

- أيوا يا حبيبي
- ممكن أتكلم مع حضرتك شوية واللا مشغول؟
- قوي قوي يا سلام! أفضي لك نفسي يا سي عاصم خير في إيه؟
- أبدًا كنت حادردش مع حضرتك شوية
- أُدخل في الموضوع علطول
- حاضر. بابا هو أنا ممكن أتجوز يُوكابد؟

وبسرعة شديدة أكمل حديثه:

- على فكرة! هي طالبة في كلية الطب يعني دكتورة.
- مين يُوكابد؟
- يا بابا يُوكابد بنت عم أبوشنب
- أبو شنب مين؟ ما كل الرجالة عندها شنب؟
- آه أيوه يا بابا هههه عم أبو شنب حارس العمارة اللي جنبنا

وباستغراب وبلهجة حادة شديدة الغضب:

- قصدك أبو شنب البواب؟
- أيوا يا بابا حضرتك عليك نور
- عاوز تتجوز بنت البواب؟
- بابا أنا بسأل بس!
- معقول يا عاصم هودا إختيارك؟ بعد تعبي أنا ووالدتك معاك السنين دي كلها؟ هي دي اللي لفتت انتباهك؟
- أيوه يا بابا دي دكتورة، وإيه الإندهاش في إني أُعجب ببنت جميلة؟ مُكافحة وحتبقى دكتورة كمان؟ وأحسن من بنات كتير بقابلها في حياتي كل يوم، وبعدين حضرتك علمتنا التواضع وحذرتنا من الكبر.
- يا بني إيه علاقة التواضع بعدم التكافؤ؟ ليه بتخلط بين المفاهيم؟ هي من بيئة مختلفة ووسط اجتماعي مختلف، يعني تربيتها مختلفة عن تربيتك،صحيح لهم حق علينا في الإحترام والتقدير لظروفهم وكفاحهم، لكن مش معنى كده نناسبهم.
- عشان فقيرة؟
- يا حبيبي المسألة مش إنها فقيرة وإنت غني، لا يا حبيبي، لكن الفقر له ثقافة مختلفة، يعني إذا إتقفل عليكم باب حتتفاجئ بعادات يومية مختلفة تمامًا، وأشياء وتفاصيل كتير قوي ما تتقالش لكن حتكون أكيد مزعجة.
- حوافق حضرتك في وجهة نظرك، يبقى زي ما إتعلمت دراسة الطب، تقدر تتعلم أي شئ، وتكتسب أي عادات جديدة.
- إنت بتتكلم زي ما تكون اتخذت القرار؟
- أبدًا يا بابا، أنا بس بتناقش مع حضرتك في أسباب الرفض بوجه عام، لإني حاسس إنها مش موضوعية، وبعدين هو حضرتك شفتها؟ شفت جمالها؟ هي مش أحد الأسباب للزواج الجمال تُنكح المرأة لجمالها، وفي النهاية فاظفر بذات الدين تربت يداك.

- شوف يا بني، أنا شايف إن الموضوع ده بعيد قوي، وإحتمالات فشله أكثر من إحتمالات نجاحه.

* * *

ظل عاصم مستيقظ طوال ليله، وسمع طرق خيف جدًا على باب غرفته، فقام ليفتح الباب ليرى مفاجأة، صفاء الخادمة وهي مرتدية قميص -أزرق باهت- داخلي شفاف، من ملابسها الداخلية الباهتة، وقد مشطت شعرها بزيت الزيتون من المطبخ، ووضعت المساحيق بشكل مبالغ فيه، حيث أن لها فك من الاسنان المستدير، فحينما تتكلم وكأن أسنانها ستغلق على شفاها السفلى، وحاولت أن تدخل عنوة غرفة عاصم، عاصم ذهل مما فعلته الخادمة صفاء، دون سابق إنذار:

- إيه ده؟! وإيه منظرك المقرف دا؟ انت عايزة ايه؟ بنت!؟ امشي اطلعي برا، والصبح تلمي هدومك وتغوري في ستين داهية من هنا، انتي فاهمة؟

ارتمت -فارضة نفسها بالقوة- على عاصم تراوده عن نفسه

- اشمعني أنا يعني؟ ما هي يوكابد بنت بواب بردو

دفعها بقوة فألقاها على الأرض

- يخرب بيتك، انتي اتجننتي؟ بقولك غوري من وشي ايه دا؟ ايه البرود دا؟ على فكرة مش غلطتك، غلطة اللي سمحوا لواحدة ساقطة بيئتها واطية زيك تخدمهم، امشي احسن ما أصحيهم واخليهم يطردوكي دلوقت في الشارع!

وبعد مرور عدة أسابيع على هذا الحوار، لاحظت "أوار" هانم والدة عاصم تعلق إبنها الشديد بيوكابد الفائقة الجمال، التي تسير كالفراشة، غير مبالية بأي شئ سوى مستقبلها، وتفوقها في كلية الطب، ومحاولته متابعتها ومعرفة مواعيدها دون لفت انتباهها إليه، فتعاطفت معه وحاولت إقناع والده بموضوع الارتباط بيوكابد التي تعلق قلبه بها، فقالت لزوجها:

- إيه رأيك يا كمال تطلب إيد يوكابد لعاصم شكله بيحبها قوي؟
- إنت اتجننتي يا هانم؟

عاوزاني أنزل في الأوضة اللي تحت السلم، أقعد على السرير اللي بيناموا فوقه، وتحته وياكلوا ويشربوا عليه؟ ويربوا بط وفراخ معاهم في نفس الأوضة؟ وأقول لأبو شنب"البواب":

- يا أبو شنب بك أنا جاي أطلب إيد بنتك المصونة يوكابد لابني عاصم اللي علّمته في مدارس لغات وعضو نادي الزمالك ووكيل النيابة ؟ سليل الحسب والنسب حفيد الباشوات، اللي صرفت عليه دم قلبي، عشان في الآخر يختار بنت البواب؟ أصله مُعجب بجمالها؟ لا يا هانم، بكرا ينساها ويحب غيرها، وهي ربنا يبعت لها نصيبها بعيد عننا.
- إنت عارف إن أنا كان نفسي ياخد إيمي بنت أختي، لكن هو للأسف مش بيقبلها، حتى كبنت خالة مش زوجة، وأنا حاسة به بيحب ومتعلق بيوكابد اد إيه، وانت كمان يا كمال، بتفكرني بسراج مُنير في أفلام أبيض واسود، وباشوات زمان، ما البنت دكتورة، نقدر ننتشلها من الوسط ده، وياخدها ويُسكن في مكان غير الزمالك، محدش يعرف فيه أصلها ولا فصلها، وكله بيتنسى المُهم هو يبقى سعيد.
- ومين قالك إنه حيبقى سعيد معاها؟ ومفيش حاجة بتستخبى يا ست هانم، تقدري تقوليلي مين حيبقى خال ولاده؟ عائلتها ممكن تكون عائق له في مستقبله الوظيفي، وانتِ تبقي صديقة سمرا مراة البواب، لا لامؤاخذة قصدي سمرا هانم، والروس تتساوى وتبقى حماة ابنك، لالالالا بلاش كلام فارغ وتخاريف، مش عايز كلام في الموضوع دا تاني، الموضوع ده يتقفل ومش عايز أسمع فيه كلام تاني ابدًا.
- بابا أنا آسف، أنا سمعت الحوار بالصدفة ما كنتش بتصنت على حضرتك بس صوت حضرتك كان عالي شوية، أنا عايز أقول لحضرتك، إن أنا لي زملاء في النيابة من الفلاحين كتير قوي، من شبراخيت وميت أبو الكوم، وكفر شكر، وكوم حمادة، والدلنجات، والمنوفية، وكمان من الصعايدة المنيا سوهاج، يعني هي

دي شرائح المجتمع المصري، معظمهم فلاحين وصعايدة، مش كلهم ولاد باشوات يا بابا، وكلهم بيتعلموا ويكتسبوا عاداتما اعتادوش عليها في قراهم اللي نشأوا فيها.

- بس أبناء عائلات مش من القاع، ووظيفة القاضي لا تنفصل عن حياته الخاصة، فإن هبط مستواه الأخلاقي بغض النظر عن كفايته الوظيفية لم يعد صالحًا لولاية القضاء، وذلك من واقع سلوكياته، يعني لا تقتضي فقط كفاية مهنية أو فنية، بل يُفترض قبل ذلك كله شخصية سوية مع نفسها ومع الآخرين، والقاضي إذا هبط بمستواه عن الدرجة المفترضة فقد أسباب الصلاحية لولاية القضاء، أو أتى أي سلوك دون المستوى زي النسب اللي حضرتك بتختاره ده.
- أيوا يا بابا في حد بيختار عائلته؟
- الكلام انتهى

انقطع الحواربين عاصم ووالده لأنه يبدو أنه بلا جدوى.

* * *

المستشار كمال، يحافظ على صورة عائلته كما ينبغي، وكيانه الاجتماعي، لكنه زهد تمامًا في أوار ولم يعد يطيق حتى أنفاسها، ومتزوج سريًا من إحدى قريباته التي تتفهم ظروفه العائلية وتتكتم على سره حفاظًا عليه وعلى اسرته.

"أوار" هانم تشغل وظيفة حكومية -(مدير عام للشئون القانونية)- في جامعة (التكية) فهي من ذلك النوع من النساء المُعقد نفسيًا، شخصية سيكوباتية خاصة بعد أن شعرت بمرحلة خريف العمر، وبدأت التجاعيد تظهر على وجهها، بعد سن الخامسة والخمسين، مع إهمال المستشار كمال لها كأنثى، فهي ذات ملامح متجهمة بطبعها، علاوة على أنها من ذلك النوع من النساء اللاتي يتعالين على من حولهن، بدعوى أن زوجها يعمل -مستشارًا "رئيس محكمة"- وأداؤها المبالغ فيه هذا دون علم زوجها، لكنه يساندها حينما تورط نفسها في أي مشكلة.

أوار هانم دائمة التهديد، والوعيد، لزملائها في العمل، اذا فكر أحدهم الاختلاف معها في شئ، تهددهم بالنيل منهم، وتلقينهم أشد العقاب، ودائمة الذكر لزوجها، في كل كبيرة وصغيرة، بمناسبة وبدون مناسبة في محيط العمل.

وكأنها تذكرهم طوال الوقت أن زوجها المستشار (إيده طايله) لدرجة أن الساعي الذي يُنظف المكاتب، ويقدم الشاى والقهوة للموظفين، يُتاجر في نفس الوقت في الزبد، والجبن، والبيض الذي تعده له زوجته، قال لأوار هانم:

- تحبي حضرتك اجيبلك زبدة أو جبنة أو بيض ؟
- لا لا شكرًا، الباشا جايب لي كل حاجة
- طيب شكرًا يا افندم

تهز رأسها مع تكشيرة تأمره فيها بالانصراف

وفي إحدى المرات تدعوها إحدى زميلاتها في العمل (مدام دعد) التي تكرهها جدًا ولا توضح بل تظهر بمظهر الصديقة المخلصة والمحبة لها:

- اتفضلي جاتوه
- لالا، شكرًا لسه الباشا جايب لي "جاتوه، وبيتي فور" كمان، شكرًا مش عايزة.

يتلون وجه مدام دعد من الغيظ، وتضيق عيناها الضيقتان في الأساس، وتبتسم لها ابتسامه صفراء، وبمجرد أن تنصرف وتدير لها ظهرها، تتحدث إلى زميلة أخرى لهما في العمل :

- هي أوار دي إيه؟ من طينة تانية؟ مش كفاية واخدة حمام لوحدها ومانعة أي حد يدخله غيرها؟ تاخد حمام لوحدها ليه؟ أنا عايزة أفهم؟ وباقي الموظفات كلهم حمام؟ دي حتى حمارة في القانون، لا هي فاهمة حاجة، ولا بتعرف تدير، ولا فاهمة الألف من كوز الدرة، بس كل مؤهلاتها في الحياة إن زوجها مستشار.
- قرفتنا بزوجها المستشار، حتعلق للناس المشانق عشان زوجها مستشار.
- شوفتي حولت الولد المسكين الجديد "للنيابة الادارية"، عشان بس رد عليها وهي بتبهدله؟

- واللا المحامي الصغير الجديد جابت له "خمس أيام جزاء" عشان ما قلهاش حضرتك
- أنا عايزة اعرف حاجة! زوجها سيادة المستشار ده يعرف كل اللي هي بتعمله على حسه؟
- لا بيقولوا عليه راجل محترم قوى
- يعني لو عرف يطلقها، وتمشى تكلم نفسها في الشارع هههههه، تبيع ليمون وتقول (ليمون يا كلاب) هههههه
- هههههه

الاستاذ غدير المحامي، وسيم وأنيق ومفتول العضلات، ممشوق القوام وعلاوة على ذلك خبير في معاملة النساء، مما يكسبه جاذبية بالرغم من أنه شخصية وصولية متلون متسلق دائم الكذب، يساعد على اشتعال المواقف بين الآخرين ولا يشتعل لأنه خسيس جبان، لا يفوت أي فرصة دون اقتناصها، يُغازل أوار هانم باحتراف، مما جعلها تدمن سماع كلماتة المعسولة، دون الالتفات إلى مدى صدقها، فهي تميل إلى أن تصدقها بالفعل، فكانت أوار تميز الاستاذ غدير دائما وأبدًا عن باقي زملائه، بالرغم من صغر سنه بالنسبة لها إلا أنه شغل كل تفكيرها، بل يشتعل صدرها بالغيرة عليه إذا رأته يتحدث إلى إحدى زميلاته، وهي لا تريد في إدارتها أي إمرأة جميلة على الاطلاق، إلا وتفتعل معها أي مشكلة لتنقلها إلى مكان آخر وتتخلص من رؤيتها تمامًا، تنزعج جدا إذا رأت أي شخصين مندمجين مع بعضهما البعض بمحبة، سواء رجلين أصدقاء، أو إمرأتين، أو رجل وإمرأة، ولا سيما من تربطهم أي علاقة عاطفية، تسقط جميع عقدها النفسية عليهم، وتتبع الاسلوب التقليدي المتوارث: "فرق تسد"، مما جعل الجميع كل حريص على تحقيق مصلحته حفاظاً على وجوده، أصبحت مشكلة وجود، وحفاظًا على مصدر رزق أولاده.

أوار تمنح المكافآت لمن تشاء وتمنع عمن تشاء، فلا توجد إمرأة واحدة مستفيدة من أي نوع من المكافآت التي تخصصها أوار لمن تحب سوى مدام دعد لأنها قبيحة المظهر

والجوهر وفمها لا يوجد فيه غير بضعة أسنان قليلة ينخر فيها السوس، ولا يخرج هذا الفم إلا كلمات تشبهه ولا تمتد إلى القلب على الإطلاق بل حدودها سوس الأسنان.
وبالطبع الاستاذ غدير اسمه موجود في جميع كشوف المكافآت من كل نوع، مكافآت التميز في الأداء، والوقت الإضافي، ....إلخ
وهذا يجعل الجميع متكالب، متآمر، يركزون مع زملائهم اكثر مما يركزون مع أنفسهم، كنتيجة حتمية للظلم الواقع عليهم، هذا المجتمع يسوده نوع غريب من العلاقات وكأنهم أناس ضد الحق، لديهم مناعة ضد التطوير، يحقدون بمنتهى الإحساس، يتلونون بمنتهى العذوبة، يكذبون بمنتهى الصدق، ينصبون الشباك بمنتهى الضمير، يخونون بمنتهى الإخلاص.

* * *

حاول عاصم أن يسترخي وهو يستمع إلى أنغام الموسيقى الهادئة من روائع "إلياس الرحباني" وظل يُحدث نفسه:

- هذا الحب العذري، والشعارات الجوفاء، التي لا تتعدى حدود الكلام النظري وأبيات الشعر التي أصبحت مجرد ثرثرة في زمن التفجير والقتل، وهذا الرفض العصبي القبلي، وعنجهية الباشوات التاريخية، وقرع أبواب المدينة الفاضلة، التي دائمًا وأبدًا ما توصد أبوابها في وجهي أنا ومن هم على شاكلتي، كل هذا يذهب إلى الجحيم!.

* * *

يوكابد في السنة السادسة في كلية الطب ودائمًا ما يحاول لفت انتباهها الأخ الأكبر لزميلتها في الجامعة، حاتم "وكيل نيابة العجوزة" وهو شاب مُهذب، وسيم ومُهندم، ظل يتابعها وهو كله إعجاب بها إلى أنه أجرى عنها تحريات مكثفة بحكم وظيفته، وعرف عنها كل شئ وبالتفصيل، حياتها وأصلها ووظيفة والدها، وسكنها في حي الزمالك وكل المعلومات المتعلقة بعائلتها، حينما علم ما علم عنها ظل يحدث نفسه:

- هو أنا كل ما تعجبني واحده تطلع كده؟! واحدة تقوللي أنا ساكنة في مصر الجديدة تطلع ساكنة في دار السلام، والتانية تقوللي أنا ساكنة في المعادي ألاقيها ساكنة في البساتين، الثالثة تقول أنا من الزمالك تطلع ساكنة في أوضة تحت السلم! وكمان أبوها البيه البواب، دا إيه الحظ دا؟ بعد كده مش حسألهم أنتم ساكنين فين، حروح وراهم علطول.

ماعرفه حاتم عن مستوى يوكابد الإجتماعي، جعله على الفور يصرف النظر تمامًا عن موضوع الإرتباط بها، الأمر الذي كان يفكر فيه جديًا، لأنه رأي أن عائلتها غير لائقة اجتماعياً بهم نهائيًا، فهي من عائلة دون المستوى، قد تسبب له الحرج في المستقبل في محيط عمله، أو مع عائلته، لكن حاتم دائم البحث عن الجمال، فحينما رأى نيهال تلك الفتاة فائقة الجمال، التي كانت تختال بجمالها مع نظرة استعلاء على كل من حولها في ممشى نادي الزمالك، وكأنها تهز الأرض من تحت قدميها، معتقدة أنه لا توجد على سطح البسيطة من هي أجمل منها، لفتت انتباهه خاصة وأنه يظهر معها شخصًا لا تبالي بوجوده.

سعى حاتم للتعرف على نيهال، التي استجابت للتعارف بكل سهولة، وتركت "شاكر" ذلك الشاب الذي كانت بصحبته، وهو محامي صغير في مُقتبل حياته العملية، وأحد أعضاء نادي الزمالك، وهي ليست عضو في النادي بل كانت تدخل بصحبة شاكر.

نيهال فائقة الجمال، لكنها فتاة متواضعة جدًا في ثقافتها ومستواها الإجتماعي، فهي حاصلة على الثانوية العامة، ولم تكمل دراساتها بعد وفاة والدها، تطورت علاقتها بحاتم، وقررت أن تبتعد عن شاكر نهائيًا، شاكر الذي أحبها من كل قلبه، وهو الذي جعلها ترتاد نادي الزمالك معه ولم تكن قد دخلت أي نادي اجتماعي من قبل، تركته بعد أن وجدت من هو أفضل منه وفق حساباتها، فقطعت علاقتها به نهائيًا، الأمر الذي جعله يستشيط غضبًا منها، ومن حاتم الذي اختطفها منه بكل سهولة، وفكر كيف يثأر لكرامته منهما.

فذهب شاكر إلى حاتم وسأله عن نيهال:

- إنت بتحبها؟
- لسه مش لدرجة الحب
- اتعرفت عليها وعلى عائلتها؟
- لأ طبعًا، لسه بدري، أنا مسألتش عن أي حاجه قبل ما أقرر حاعمل إيه.
- طيب! أنا بقى سألت، وعرفت كل حاجة عنها، وعن تاريخها.

وقال له وهو ينظر في عينيه:

- وعن زوج أمها (القواد) الذي يتكسب من ورائها، هي وإخواتها البنات.

نظر إليه حاتم نظرة تعجب واندهاش، وأكمل شاكر حديثه له متجاهلاً اندهاشه:

- ومع ذلك حبيتها.

وهو يؤكد كلامه بإيماءة من رأسه تعنى أنه على الرغم من الذي عرفه عنها أحبها وأكمل كلامه :

- ومستعد انتشلها من اللي هي فيه.
- معقول؟
- أيوا معقول، بحبها.
- طيب هي بتحبك؟
- مش عارف، ومش عارف هي بتدور على إيه؟ بتحبني؟ واللا مسألتش نفسها؟ واللا مش شايفاني أصلاً؟ كل اللي أنا عارفه إنك ظهرت فجأة في حياتها، وهي بسببك بعدت عني وأنا لسه بحبها. حاتم بك، لو حتتجوزها وهي موافقة قول لي، وأنا حابعد واتمنى لكم السعادة.
- ما انكرش إنها تتحب، لكن في الحقيقة أنا مقررتش اتجوزها، خاصة إذا الكلام اللي إنت قولته ده صحيح! مستحيل ارتبط بيها ولو ملكة جمال الكون.

انتهى الحوار بين حاتم وشاكر بلا وصول إلى أي اتفاق أو نتيجة محددة. ومرت بضعة أيام، تأكد فيها حاتم من صحة كلام شاكر، وقطع الشك باليقين، وقرر قرار نهائي

ألا يتزوجها مهما كانت درجة جمالها، لكنه لم يستطع مقاومة جاذبيتها كامرأة، أو الابتعاد عنها، وكان يستمتع جدًا بقضاء أوقاته معها، فكانت لها قوة مغناطيسية، تجعله لايُفارقها أبدًا إلا لعمله، وأحيانًا كأن يأخذ إجازة من عمله ليقضى يومه كاملاً معها.

ظل شاكر يُتابع الموقف عن بعد، وتشتعل في صدره نار الغيره من حاتم، الذي اختطف حبيبته التي كان يرغب في الزواج منها تحت أي ظرف ولم ولن يتزوجها أبدًا حفاظًا على وظيفته المرموقة ومكانته الاجتماعية، لكنه فقط يقضي معها أوقات سعيدة، ففكر شاكر فيما يفعل، وهداه تفكيره أخيرًا للتواصل مع زوج أمها العديم المبدأ والأخلاق، الذي يضعف أمام المال ويجعله يبيع أي شئ وكل شئ، فهو يتفهم تماماً نواقصه، ويعرف كيف سيتفق معه، وبالفعل اتفق معه على الحصول على مبلغ كبير من المال، وذلك في مقابل تحرير شكوي ضد حاتم في "التفتيش القضائي"، وأخرى إلى "المحامي العام".

قام شاكر بتحريرها بعناية فائقة، وإسلوب منمق يناشد فيها حُماة الأعراض، وسدنة العدل بحماية نيهال، تلك الفتاة البريئة من حاتم وكيل النائب العام الذي يتلاعب بأعراض الناس دون أدنى مراعاة لمبادئ الأخلاق، مما يسئ إلى سمعتهم، ورعاية لحسن سير وسلوك رجال العدل والقضاء.

كان شاكر يريد الإنتقام من حاتم بإيذائه في عمله، واسترداد حبيبته، لكن ما حدث هو العكس تمامًا، فقدحدث شيئًا ما في التحقيق مع حاتم، وتم الوصول إلى شبه اتفاق ودي، ونتيجة مؤداها:

أنه قد تم "عقد قران" حاتم على نيهال وذلك حدث على وجه السرعة، دون إقامة أية احتفال بالزفاف، أو أي مراسم تقليدية، وتزوج حاتم من نيهال، التي اعتقد أنه يستحيل أن يتزوجها في يوم من الأيام، وحُفظت الشكوي، وأكمل في عمله الذي ظن شاكر أنه سيُفصل منه، واختفى شاكر من حياتهما إلى الأبد.

* * *

وقف بائع الفاكهة -الذي يحتل ناصية أحد الشوارع بالزمالك- يرص الفواكهه باكرًا، ويمسك بالتفاح، مُنتظرًا مرور "يوكابد" يوميًا وهي تسير صباحًا ويبتسم للتفاح قائلاً:

- استويت على عودك يا تفاح ، أحلى من الأمريكاني وأجمل من البلدي يا تفاح لا في مثالك ولا في جمالك يا تفاح يا ترى من سعيد الحظ اللي هيقطفك يا تفاح؟

تسعد يوكابد بنظرات وكلمات الإعجاب، مهما صغر أو علا شأن قائلها، ولا يحتل قلبها سوى زكوان، وبداخل عمقها الجوهري تدفق غير معهود للحب، فهي في شرع الهوى عاشقة متيمة، لكن عشقها لازال حبيس الذات، ولازالت يوكابد تكابد وتدافع عن حُب عمرها، وحب حياتها، برغم بُعد زكوان الذي إنصرف عنها، إلا أنها على ثقه أنه لا يزال يعشقها، ولا ترى من الرجال غيره.

زكوان يرتعد بدنه كله حينما تحدثه "يوكابد" الرقيقة في التليفون، لكنه كان يُقاوم بكل ما أوتى من قوة، من أجل مستقبله، والحفاظ على تحقيق حلمه بالشكل اللائق من وجهة نظره، وتذهب يوكابد للحديقة التي كانا يلهوان بها، وهما صغار ويتقابلان فيها أثناء دروس الثانوية العامة، وحينما يعودان من الجامعة يوميًا، لتجدها خاوية على عروشها، تتصل بـزكوان حبيب القلب، آناء الليل وأطراف النهار، فهاتفها المحمول ليس له أي معنى أو قيمة في نظرها إلا حينما يتصل بذكوان وكأنه تم اختراعه من الأساس من أجل زكوان فقط.

لكنه للأسف لم يجب عليها، وفكرت في أن تشتري شريحة جديدة، وقررت أن تتكلم معه بأي وسيلة كانت.

اتصلت يُوكابد للمرة الألف بذكوان من هذا الرقم الجديد فأجاب مرة:

- آلو
- بحبك
- مين إنت؟ وتتساقط الدموع من عينيه حبًا وخجلاً

- أنا يوكابد، حبيبتك، خلاص نسيتني؟ رُد عليّ بطلت تحبني؟ نسيت لعبنا مع بعض واحنا صغيرين؟ نسيت أحلامنا اللي حلمناها مع بعض؟ نسيت وعدنا؟ نسيت الأيام اللي كنا بنعدّها مع بعض لحد ما نكبر؟

لم يستطع الرد لأن صوته لا يطاوعه، ودموعه تغلبه، لكنه استجمع شتاته ورد عليها بجفاء قائلاً:

- يوكابد إنسيني وشوفي مصلحتك.
- مصلحتى؟ إنت مصلحتي!
- يوكابد من فضلك
- من فضلي إيه؟ أختفي من حياتك؟ حاضر

انتهت المكالمة، وأغلقت يوكابد الموبايل، ولم تستطع أن ترى الأشياء أمام عينيها، فقد رأت الفقر، وذله، وعبوس الزمان، وحينما أحبت، وعشقت، تخلى عنها حبيبها، حينما حقق حلمه، وتركها هي ليحاربها المنام، فاستلقت على ظهرها، والدموع تتساقط أنهارًا على وسادتها، وكادت أن تستفيق من غيبوبة الحب على قطرات من التخاذل والتخلي، واكتشفت أنها كانت تحارب من أجل مسخ.

وتستمع لصوت "ميادة الحناوي"في أجمل ما غنت: ”بتبعد عني دلوقت؟ بتنكر حبي دلوقتي؟ولو بالصدفة نتقابل تقولي مين إنت؟ أنا اللي نسيت روحي وفوق الجرح عديتك أنا امبارح أنا الذكرى أنا الماضي أنا بكرة أنا اللي إنت النهارده فيه دي أحلامي ودي حكايتي... “

بالرغم من أن يوكابد تعشق زكي وتتمنى ولو تراه صدفة، إلا أنها تشعر بخيبة أمل، فهي تتنازل طوال الوقت عن كرامتها في ملاحقته، وتجاهله لها، وتتغاضى عن شعورها بالإهانة، وتتحجج بأن حبها أهم من كرامتها، لكن بعد هذه المكالمة أدركت أنه حان الوقت أن تفيق، وأنها لابد وأن تكون قوية، لا تتمسك بمن يتخلى عنها، ولن تعيش ميتة في انتظاره، وهو لن يأتي، ورجائه وهو مقطوع منه الرجاء، بعد أن أصبحت خيال فقط له، قررت أن تنتزعه من قلبها بقرار.

عمى القلب

تسنيم فتاة جميلة ورقيقة جدًا، تتوافر بها كل الصفات الأنثوية الشكلية، وراقية جدًا في أدائها ودراساتها، وأنيقة جدًا في اختياراتها، تجيد العزف على البيانو، تدرس في الجامعة الأمريكية، وهي نجلة (يوسف بك أبو ليلة) صاحب أكبر مكتب محاسبة في الشرق الأوسط، تقطن في "شقة دوبلكس" بالدور الرابع من العمارة التي تجاور عمارة ليبون، وحارسها "العم أبو شنب" وزوجته "سمرا"، وقد سبق لتسنيم وعائلتها أن تركوا هذا المسكن، وانتقلوا إلى قصر في "المنصورية" بالهرم،لكن يوسف بك (والدها) لم يشعر بالراحة، فقرر الرجوع إلى شقة الزمالك، وانصاع الجميع لرغبته، غرفة تسنيم لها طلاء باللون "البنفسجي" الغامق، وهو اختيارها، ومعلق على جانب من الحائط صورة لوالديها، وعلى الجانب الآخر لوحة "الطفل الباكي" تلك اللوحة العالمية للفنان (جيوفاني) واسمه الحقيقي (برونو أماديو)، ولهذه اللوحة قصة معروفة وهي أن زارالرسام في بيته كاهن، وكان في حالة ارتباك واضح،.بعد أن رأى الصورة التي رسمها الفنان للصبي، وأخبره أن اسمه "دون بونيللو" وأنه هرب، ليهيم على وجهه في الشوارع، بعد أن رأى والده يتفحم حتى الموت، عندما التهم حريق بيتهم، وقد نصح الكاهن الرسام بأن لا يفعل المزيد من أجل الصبي، لأنه أينما ذهب كانت النار تشب في إثره، ارتعب "أماديو" من حقيقة أن رجلاً متدينًا، ومن أهل الله، ينصحه بأن يدير ظهره لصبي يتيم وضعيف، وفي النهاية تجاهل الرسام نصيحة الكاهن، وبادر إلى تبني الصبي بعد ذلك بوقت قصير، وفي الأشهر التالية بيعت نسخ كثيرة جدًا من البورتريه على نطاق واسع في طول، وعرض أوروبا،

وأصبح الرسام ثريًا جدًا، ويُقال أن الرسام والصبي عاشا حياة مريحة بفضل نجاح اللوحة، واستمر كل شيء على ما يرام، إلى أن عاد الرسام إلى بيته ذات يوم ليفاجأ، بأن بيته ومرسمه احترقا عن آخرهما وسُويا بالأرض، ونتيجة لذلك تدمرت حياة الفنان، ثم لم تلبث أصابع الإتهام أن وجهت إلى الصبي (بونيللو) الذي اتهمه الرسام بإشعال حريق متعمد في بيته، غير أن الصبي هرب من البيت ولم يره أحد بعد ذلك أبدًا تعرف تسنيم قصة الطفل الباكي وتتمسك باللوحة، فإذا كان تأثير الطفل نفسه هكذا! فما تأثير صورته وهي مجرد لوحة مرسومة؟ الله أعلم!.

جاءت تسنيم وتركت سيارتها "للعم أبو شنب" يركنها بالجراش، ولا تعرف كيف استقلت الصاعد ولا كيف دخلت البيت، لكنها بمجرد دخولها البيت ظلت تجهش بالبكاء، فصدرها يشتعل بالحقد والغيرة.

وبأعلى صوت نادت:

- مامي! مامي!

ليلى هانم سيدة أرستقراطية، موضوعية، وتحب الحق، لها طلة تُشبهه طلوع النهار، فهي بيضاء اللون ذات وجه وردي، مبتسم، مثقفة، ومتعلمة في أرقى المدارس الفرنسية، وخريجة كلية الآداب "قسم فرنسي"، متواضعة جدًا وعلى صلة جيده بربها:

- أيوه أيوه في إيه يا سيمو؟ مالك إيه في إيه حبيبتي؟

تسنيم:

- مامي لازم تطردوا أبو شنب وسمرا من العمارة
- ليه يا بنتي بس عملوا إيه؟
- كده من غير ما يعملوا، مش طايقة أشوفهم ولا اشوف اللي إسمها يوكابد دي، نفسي حد يجي يقولي إنها ماتت ومش حتبقى موجودة تاني في الدنيا.
- للدرجة دي؟ معقول؟ليه كل ده؟ عملت فيكي إيه؟

- أنا حاستنى أما تعمل؟ بقولك مش طايقه أشوفها، أطرديهم كلهم وهاتي بواب تاني
- يا بنتي ربنا اسمه الحق، وقطع العيش زي قطع الرقبة، دي ناس على باب الله، إهدي كده وفهّميني بالراحة إيه الموضوع بالظبط؟

تسنيم وهي تجهش بالبكاء قائلة:

- الموضوع يا مامي إن عاصم هيمان في الست يوكابد ومش شايفني ولا حاسس بيا، عاصم اللي متربي معايا من صغرنا، سايب تسنيم بنت يوسف بك أبو ليلة وبيحب يوكابد بنت أبو شنب البواب، لدرجة إني راكنة عربيتي قدام عربيته الصبح، وعيني عليه عشان أقوله صباح الخير، وهو عينه على أوضة البواب، يمكن يوكابد تظهر عشان تروح الكلية، مش شايفني ولا حاسس بوجودي، كان ناقص أخبط له عربيته عشان أحسسه بوجودي وأعرف أصبح عليه، وطلعت بالعربية وهو في عالم تاني، واقف مستني طلعتها البهية كأنه بيتعبد، رحت الجامعة لاقيتني مش مركزة في أي حاجة اتصلت بآسيل.

تسنيم:

- آلو هاي آسيل

آسيل:

- هاي سيمو عاملة إيه
- زفت، إسمعيني عايزة أجيلكم طب النهاردة
- أوك بس بعد ١٢ وقبل واحدة عشان ده البريك الأوحد
- يوكابد حتكون معاكي؟
- شور طبعا أمال مين يظبطني في المحاضرات؟
- أوك إقفلي بقى عشان جاية من دلوقت، هتلاقيني مستنية في الكافتيريا
- أوك باي

وبعد مرور بعض الدقائق كنت في إنتظار يوكابد وآسيل، والساعة الثانية عشر وخمس دقائق، جاءت آسيل إلى الكافتيريا وفي صُحبتها يوكابد، ووجهها يُطل كالبدر في تمامه، وترتدي أفخر الثياب، التي تزيد قوامها حسنًا فوق حسن. وبعدها جت أسيل وبنت البواب.

- هاي آسيل

وتبادلتا القبلات وعينا تسنيم تتفحص يوكابد المشغولة بالسلام على وائل، زميل الدراسة، وقالت:

- هاي يوكابد؟

يوكابد وقد احمر وجهها حرجًا وخجلاً:

- أهلا وسهلا إزيك يا تسنيم إيه المفاجأة الجميلة دي؟

تسنيم وهي تتصنع الإبتسام، ومن داخلها تكاد تموت كمدًا وغيظًا، من أن ملابسها التى إختارتها من أفخم المحلات في لندن، ودفعت ثمنها بالجنيه "الإسترليني" حينما إستغنت عنها أصبحت بهذا الجمال على يوكابد.

تنسيم:

- أنا قلت أعدي عليكم.

يوكابد:

- دا إنتِ نورتي الجامعة كلها

قطع الحوار وائل الذي قال ليوكابد:

- أنا بس مش فاهم موضوع

واسترسل في الحديث مع يوكابد لتشرح له موضوع في مادة التشريح. وتسنيم لم ترفع عيناها عنها، تُراقب حركاتها وإسلوب كلامها، وطريقة أدائها، وكيف يحترمها زملائها.

روت تسنيم ما حدث لوالدتها بالتفصيل ثم استرسلت قائلة:

- مامي، يوكابد بتتكلم بإسلوب كويس، ولابسة هدومي، واللي يسألها إنتي ساكنة فين؟ بترد تقول ساكنة في الزمالك، يعني عايشة الدور، تشوفيها جنبي تقولي زيّها زيي، أو بنت خالتي مثلاً مش بنت البواب! دي هدومي عليها أحلى من عليّ يا مامي! مامي مين دي؟ أنا عايزة أفهم مين دي؟ اللي تعمل راسها براسي؟

الغيرة شعور شيطاني كافر مدمر لا يعرف الأخلاق ولا الرحمة يعمي من يشعر به عن أي شئ خير في تصرفاته، وتسنيم تسيطر عليها مشاعر الغيرة بشكل قوي جدًا وواضح، وتعتبر مجرد وجود يوكابد في أوساط اجتماعية محيطة بها تطاول.

- بصي أنا مقدّرة مشاعرك، لكن نظرتك للموضوع وطريقة طرحك للموضوع مش عاجباني. تعالي نناقش الموضوع نقطة نقطة بالعقل:

أولاً: هدومك دي إنت إستغنيتي عنها واديتهالي أتصدق بيها، مش عاوزاني أديها هدومك تاني؟ بلاش. اديها لحد غيرها، بس ما تبصيش وراكي عشان تاخدي الثواب.

- طبعا مش عايزاكي تديها أي حاجة من هدومي تاني، ولو شراب حتى.
- حاضر يا بنتي خلصنا من موضوع الهدوم إقفليه خالص بقى، ثانيًا:

هي أدام ربنا فعلا زيها زيك، وابن البواب زي ابن الوزير، إفرضي إنتِ إتولدي لاقيتي نفسك بنت سمرا وأبو شنب؟ وهي إتولدت لاقت نفسها بنتي وبنت يوسف كنتي حتعملي إيه؟ كان هو ده حيبقى تفكيرك؟ محدش يا حبيبتي بيختار عائلته وأهله، بعدين هي صحيح ساكنة في الزمالك، يعني ما كذبتش! ولو إنتِ مكانها كنتي حتقولي أنا ساكنة في الزمالك تحت السلم؟ واللا حتقولي ساكنة في الزمالك وتسكتي؟ ما تخليش الغيره تعمي قلبك، خليكي موضوعية ومُنصفة، ما تخليش الغضب يشوش على طريقة تفكيرك، ويخفي الحقيقية، أما إسلوب وطريقة كلامها، إتعلمت ودا مش عيب نقدر نلومها عليه.

- مامي أنا بغير من دي؟ حضرتك بتقولي إيه؟

- مش بتغيري منها بس غيرانه على عاصم منها، مش كدا؟
- مش ح أرد يا مامي، طيب وعاصم أعمل معاه إيه؟
- عاصم ده تشليه من دماغك خالص، وتبطّلي تفكير فيه، زي ما إنتِ مش شايفة كريم، وجاسر، وسهيل، المعُجبين بيكي، وحاسة بيهم كأشخاص عاديين، هو كمان مش شايفك، حق كل إنسان قلبه يميل تجاه من يحب، المشاعر هي الشئ الوحيد اللي بيفقد معناه بالاستجداء، حتى لو بادلك مشاعر بعد ما عرف مشاعرك، مش حتكون على المستوي اللي تتمنيه وبتحلمي به، حتكون مشاعر منقوصة، خاصة وإنك عرفتي إنه مشغول بغيرك، لازم تزكي روحك، وتعززي نفسك، إتخذي القرار، خليكي قوية، ونفذيه بأي كيفية، وإستعيني بربنا حيساعدك ويعينك.
- بالبساطة دي؟ عاصم قدام عنيا عشرين سنة، النهارده أقرر أبطل أحبه؟ وعشان مين؟ عشان بنت البواب؟
- عشان نفسك، عشان تقديرك لمشاعرك وكرامتك،حاولي، حتقدري، خلي عندك إرادة، حتقدري، وحتنسيه، وتحبي غيره، وما تهتميش بيوكابد دي خالص ولا تتابعيها، كأنها مفيش، كأنها هواء أو مش موجودة، شوفي دراستك، ولو عايزة نسافر أي بلد، ياللا نروح في "الويك إند" باريس نغير جو إسبوع أو إسبوعين.

هزت تسنيم رأسها بالموافقة مستسلمة ظاهريًا لآراء والدتها العقلانية، لكنها داخليًا، قلبها يتمزق وتفكر مليًا كيف تنتقم من يوكابد، وتتخلص منها.

وقالت:

- حاضر يا مامي حاسمع كلام حضرتك.

* * *

جاء موعد عيد ميلاد تسنيم، فاستدعت سمرا قبل موعد عيد الميلاد بيومين وقالت لها:

- سمرا، أنا محتجاكي، هنا معايا بعد بكره ضروري، علشان عندنا عزومة كبيرة شوية، والناس اللي هنا واخدين أجازة، وحيبقى في ضيوف كتير.
- هو ممكن يوكابد تطلع معاكي تساعدك؟
- عيني يا هانم، ويوكابد تطلع على عنيها، تسيب اللى وراها كله وتطلع لحضرتك، دا حضرتك تؤمري يا ست هانم.

مر اليوم الأول، وسمرا تحاول إقناع يوكابد، ويوكابد ترفض، إلى أن رضخت في النهاية لرغبة والدتها سمرا، التي كانت تبكي من آلام الخشونة في ركبتيها، فشعرت يوكابد بوخزة في ضميرها، وأن عليها واجب والتزام أدبي تجاه هذه الأم، التى أفنت عمرها تخدم وتمسح السلالم لتربيتها، هي وإخوتها، ولابد من إرضائها، ولو على حساب كبريائها الذي سيخُدش بخدمتها في بيت تسنيم أمام ضيوفها، وبالفعل حان ميعاد حفل عيد ميلاد تسنيم، الذى كانت تظنه يوكابد وليمة عشاء للأقارب.

وقد سجلت تسنيم إسم "يوكابد" على الموبايل باسم "يوكابد بنت البواب" حتى يظهر عند أي شخص -غير مسجل رقمها- بنفس الإسم على برنامج -"TRUECALLER" "تروكولير"- كوسيلة سريعة للإنتقام منها، وهي طريقة خسيسة، إتبعتها نقلًا عن بعض صديقاتها، أصحاب المقالب والتدابير الشريرة، أصبحت تسنيم تتسم بالحُمق في تصرفاتها مع يوكابد.

وتعريف الحماقة: هي "أن تُلحق الضرر بالآخرين دون الحصول على أية منفعة"، وهو ما تفعله تسنيم حرفيًا مع يوكابد.

صعدت يوكابد في الميعاد المحدد، وكانت ترتدي مريلة المطبخ، تقف على الحوض، تغسل الأطباق، فسمعت صخب وهرج ومرج، في"صالة استقبال" الضيوف "الريسبشن" وبمعدل كل دقيقة يرن جرس الباب، فيكون مندوب من أفخم فنادق، ومحلات الحلويات بالقاهرة، لإحضار أفخم أنواع الجاتوهات والتورتات المزينة

برقائق الذهب، وكل ما لذ، وطاب من الفواكه والمشروبات والمشويات، أطعمة ببذخ تشبهه الأطعمة التي تظهر في قصور الأمراء،

فجأة وصل إلى مسامعها أصوات فتيات كثيرات ليست بغريبة عليها، فتعجبت يوكابد حينما علمت من الطباخ، أنه "عيد ميلاد تسنيم"، وسألت نفسها لماذا أخفت عليها تسنيم أنه عيد ميلادها؟ لا تدري ما هي الإجابة الحقيقية، ربما حتى لا تُكلفها ثمن هديه؟ لأنها تعلم أحوالها المادية؟ فتريد أن ترفع عنها الحرج، أو ربما تفسير آخر سيتضح بمرور الوقت.

دق جرس الباب، وحضر عاصم، وهو المدعو الأول بامتياز، بل بطل الأحداث، ونجم حفل عيد الميلاد، والذي اصطنعت كل الأحداث من أجله، وفي هذه الأثناء، اصطدم السفرجي بـ "آسيل" وهي ترتشف قطرات من فنجان الشاي.

- مش تحاسب؟ أديك دلقت على هدومي الشاى، أعمل إيه دلوقت؟
- أنا آسف يا هانم! ماكانش قصدي، إتفضلي سيادتك معايا، أنظفها لحضرتك.
- لالا، مفيش حاجة، حصل خير. أنا حاتصرف.

تحركت آسيل باتجاه الحمام، فرمقت يوكابد، التي تُطل برأسها من المطبخ، في محاولة منها أن ترى صويحبات تسنيم، ذوات الأصوات المألوفة على سمعها، فوقعت عيناهما كل بتجاه الأخرى، فكانت المفاجأة لكلتيهما:

- آسيل؟
- يوكابد؟ إيه اللي إنتي لابساه دا ؟وبتعملي إيه هنا؟
- أنا بغسل المواعين بساعد ماما.
- بتساعدي ماما؟ والنهاردا؟
- دا بناء على طلب تسنيم، بس هي قالت لماما إنها عزومة على العشاء، ما قالتش إنه عيد ميلادها.

آسيل نظرت بطرف عينيها إلى يوكابد، وهزت رأسها مرتين باستغراب قائلة:

- آه! أنا كده فهمت كل حاجة! بُصي بقى؟ مفيش وقت، انتِ تنزلي بسرعة من هنا بأي طريقة، قبل ما تسنيم تنزل من فوق، مفيش هنا سلم خدامين؟

أجابت يوكابد بابتسامة ساخرة:

- فيه طبعًا!
- أسرع من البرق تنزلي منه، وأنا حاطلع فوق ألهي تسنيم، وأأخرها وهي بتلبس لحد ما تنزلي، وبعدين حبقى أفهمك كل حاجة

خرجت يُوكابد مهرولة، من سلالم الخدم، إلى أن نزلت إلى غرفتها تحت السلم، وقد إرتعد جسدها كله ولا تعرف لماذا؟

لكن قلبها يخفق بشدة، وتشعر بضيق شديد في صدرها، تشعر بالذل، والإنكسار، وتتحجر الدموع في مقلتيها، تأبى أن تريح قلبها بالنزول من عينيها، وبمجرد أن نزلت يوكابد، رن هاتفها المحمول، نظرت فيه وجدتها آسيل.

يوكابد بصوت مخنوق لا يكاد أن يُسمع:

- أيوأ
- نزلتي؟

يوكابد وهي تلتقط أنفاسها، وكأن غرفتهم الصغيرة فرغت من الأوكسجين:

- أيوه
- ناقص والدتك، إتصرفي، وخُديها من هنا بسرعة، نزليها بأي طريقة.
- طب ممكن تفهميني؟
- مش وقته بقولك نزليها بسرعة، الأول، وبعدين كلميني.
- أوك.
- إتصرفي بسرعة
- طيب طيب!

فكرت يوكابد فيما تفعل! فهداها تفكيرها إلى أن تتصل بـ"ليلى هانم"، لأنها شخصية متزنة، وصاحبة قلب رحيم.

- آلو، إزي حضرتك ليلى هانم
- أهلا يويو حبيبتي
- معلش، هو حضرتك ممكن ماما تنزل بسرعة؟ عشان أخويا سُخن جدًا، وتعبان، ومش راضي يسمع كلامي، عايز ماما هي اللي تديله الأدوية، وتعمل له كمادات.
- حاضر حاضر يا دكتورة، طبعًا تنزل حالاً.
- ألف شكر، متشكرة جداً لحضرتك.
- لا شكر على واجب يا بنتي.

اللعبة الخاسرة

ظهرت "تسنيم" في يوم عيد ميلادها، كنجمات السينما، وهي في أوج أناقتها وجمالها، مبتهجة، وسعيدة، لأنها اليوم ستثأر لكرامتها، وتشعر بوجودها الطاغي، وستُري عاصم كم يوكابد قليلة جدًا ومن عائلة وضيعة لا تليق بالمستويات الراقية، وقد حان الوقت لتنفيذ الخطة المحكمة التى رسمتها بدعوة آسيل، زميلة يوكابد في كلية الطب، وأوصتها أن تدعو جميع زملائها في القسم، على حفل عيد ميلاد تسنيم، التى لا يعرفون عنها أي شئ، سوى أنها نجلة يوسف بك، هذا فضلاً عن دعوة عاصم، المعشوق الأوحد، ثم تقوم بفضح يوكابد، ووالدتها أمام زملائها وزميلاتها، وإذلالها وكسر أنفها أمام عاصم لأنه الوحيد الذي يعرف أصلها، ولن يتفاجأ أبدًا بوجودها بهذا المظهر مع والدتها، لكنه سيشعر بالخجل من نفسه لوضوح مدى وضاعتها الاجتماعية، وكيف تبدو دون المستوى! مقارنة مع باقي المدعوات.

وبالفعل بدأت تسنيم في تحية الضيوف، والترحيب بهم، ووعدتهم بمفاجأة، ونادت بلحن كله كبر شيطاني:

- سمرا سمرا، يوكابد!

ولم ترد سمرا ولا يوكابد بالطبع.

- إيه دا؟ انتم فين؟ سمرا سمرا

حضر السفرجي:

- أفندم يا هانم! أؤمري حضرتك.

ثم مال على أذن تسنيم:

- سيادتك سمرا نزلت تحت علشان إبنها درجة حرارته مرتفعة ويوكابد نزلت قبلها بدقايق.

- إيه؟ نزلوا؟! أخدوا الإذن من مين؟

ليلي هانم وبلهجة حادة:

- مني أنا يا تسنيم!

ياريت تشوفي ضيوفك، وحفل عيد ميلادك، وسيبك من سمرا ويوكابد.

- مامي؟ إزاي تسمحي لهم ينزلوا، حضرتك بوظتي كل حاجة!

- وإيه هي كل حاجة؟ الحفل زي ماهو وكل شئ على ما يرام، مش ضروري وجودهم.

- مامي؟ ما كانش لازم ينزلو.

- دا ربنا هو اللي صلح كل حاجه، صفى قلبك شويه، تصفى لك الدنيا العكرة دي.

ثم إستدارت بوجهه غاضب بعض الشئ عن تسنيم، لأنها استطاعت بخبرتها النافذة، قراءة ما يدور بخلد ابنتها، التي تسيطر عليها مشاعر الغيرة العمياء، على شخص لا يحبها من أخري أيضًا لا تحبه.

حقيقي أن الوسادة تحمل رأس الغني والفقير، الصغير والكبير، الحارس والأمير لكن لا ينام غير مرتاح الضمير.

فلم تذق تسنيم طعم النوم، بعد أن مضت مراسم الحفل بشكل باهت، فلم تفلح فيما خططت له، أمست وكأن الضوء خُطف من وجهها، وعيناها مطفئتان تبكيان بصوت مكتوم طوال الليل، متكورة في سريرها كجنين في بطن أمه، وسرق شيطان الغيرة إبتسامتها، فقد إنتهى الحفل بطريقة لا تُرضييها، ومر اليوم بخيبة أمل، لكنها على وعد من إبليس أن تنتقم منها في وقت لاحق، وبخطة جديدة بعد أن خسرت اللعبة، لكنها اعتبرتها خسارة أول جولة فقط في اللعبة، مع شعور دائم بالضيق، فطريقة التفكير الشريرة تورث الضيق في النفس.

* * *

يوكابد:

- آسيل! ممكن افهم في إيه؟ وإيه اللي بيحصل بالتفاصيل لوسمحتى؟
- الشيطان في التفاصيل
- معلش، هاتيه بس شوية يحكي لنا، وبعد كده إصرفيه! مع إني شاكة في سيناريو فيلم "خلي بالك من زوزو" بس مش عارفة ليه؟ بجد؟ هو معقول؟!
- آه معقول
- طب ليه؟
- بصي يا ستي! أنا لاقيت تسنيم بتتصل بي، وتؤكد عليّ دعوة كل زملائنا في القسم على "عيد ميلادها"، وأنا ما فهمتش ليه؟ لكن هي صممت على طلبها، وبعد كده أما شفتك إنت ووالدتك تقريبًا فهمت ليه.

إبتسمت يوكابد إبتسامة من الفم فقط:

- أيوه! أفهم؟ مقلب الأفلام العربي، والغل، والحقد، اللي إتفاجأت بيه ده كله عشان إيه؟ وعشان مين؟ أكيد فيه راجل في النص، مين بقى الراجل دا؟ وأنا وتسنيم بنتنافس على مين؟
- لا بجد؟ إنتِ بستعبطي؟ كل دا ومش فاهمة؟
- والله ما فاهمة حاجة، مين؟ وائل زميلنا؟ أنا حاسة أنه مُعجب بيا، ولا حظت إنها بتبص عليّ وأنا بكلمه، وبشرح له حاجة في مادة التشريح، وائل؟
- لاااه ده إنت مش هنا خالص! عاصم يا حلوة
- عاصم؟ عاصم؟ طيب ما هو عندها ما تاخده أنا إيه اللي بيني وبين عاصم؟ آسيل يا حبيبتي! أنا دكتورة إنشاء الله آه، بس أنا "بنت البواب"، وعاصم دا حضرتك إبن "سيادة المستشار كمال"، يعني لا أنا عمري أفكر فيه، ولا هو يفكر فيا أبدًا!
- عاصم حيموت عليكي! وتسنيم حتموت فيها!

يوكابد نظرت لآسيل في صمت من هول المفاجأة وهي تفكر في كيف تجعل تسنيم "تموت فيها" بجد، ثأرًا لما أرادت أن تفعله بها.

الحياتين

رجعت يوكابد من الجامعة، وجدت هرج، ومرج، وزحام، رجال لهم هيئة مخيفة من شدة هيبتهم، ونساء كثيرات تتشحن بالسواد بشياكة بالغة، وتتعالى أصوات قراءة القرآن، وتجهيزات حالة وفاة في انتظار نزول "الجثمان" لتشييع الجنازة، فما الحياة الدنيا إلا قطار، نحن قادمون، ومغادرون، كلنا ذاهبون.

تساقطت الدموع عشرات على الفور من عيني "يوكابد"، على "يوسف بك" والد "تسنيم"، الذى خرج من المستشفى إلى المنزل من إسبوعين، أثر حدوث "حادث مروع"، واعتقدت إنه سوف يتماثل للشفاء، لكن يبدوأن ما حدث غير ذلك وأن عمره قد انتهي بالفعل.

فتذكرت عطف هذا الرجل الأسطورةعليها، وعلى عائلتها، وأنه لم يتعال يومًا عليهم أو أهانهم، بل كان يتعامل معهم بأخلاق رفيعة، وتواضع، وتذكرت أنه لم يلقها يومًا منذ كانت طفلة، إلا وأعطاها شيئًا ما يسعدها، مرة تفاحة، وأخرى شيكولاتة، ومرة مبلغ من المال، غير الذي يُعطيه لوالدتها، أو والدها فكان دائمًا وأبدًا يُجبر بخاطرها، هي وأسرتها.فأجهشت بالبكاء، ولم تُفكر في تسنيم، أو كيف ستقدم لها واجب العزاء في والدها؟ بل سيطرت عليها كل ذكرياتها مع هذا الرجل الحاتمي، المعطاء، ومثلت مواقفه الماضية معها كلها وكأنها شريط لفيلم سينمائي، رمقتها سمرا وهي تجهش بالبكاء، فربتت على ظهرها وقالت لها:

- خلاص بقى يا بنتي! ما تعيطيش! الله يرحمها برحمته الواسعة كلنا حنموت!
- الله يرحمها؟ مين دي؟

- ليلى هانم! الست السُكرّة الله يرحمها ويحسن إليها
- هي ليلى هانم هي اللي إتوفت؟ مش يوسف بك؟
- أيوه يا بنتي

وقد سكت بكاؤها

- سبحان الله مع إنه هو اللي كان عامل حادثة، وتعبان، وهي كانت سليمة، أنا بحسبه هو اللي مات!
- دي ماتت وهي ساجدة
- الله يرحمها

ليلي هانم كان مضجعها يُجافيها آذان الفجر يوميًا، فتستيقظ من نومها، لتصلي الفجر حاضرًا، قامت لتصلي، وقفت ثم ركعت، ثم قامت، ثم سجدت، ثم فاضت روحها إلى بارئها.

حضر إخوة ليلى هانم من المنيا، ليشيعوا جنازتها، ثم تدفن في مقابر العائلة بالمنيا،على أن يُقام سرادق العزاء بالمنيا، رفض يوسف بك، وطلب أن يدفن زوجته في مدافن عائلات أبو ليلة بالقاهرة، فثار إخواتها وقال الأخ الأكبر "الحاج إسماعيل":

- إسمع يا يوسف بك! العقد اللي بينك وبين أختنا إنفض، ومدته إنتهت، ودلوقت إنت مالكش فيها حاجة، أختنا لحمنا تخصنا وحدنا.
- وأما تعرفوا إن أختكم وهبت كل ما تملك لتسنيم بنتنا! كتبت لها كل شيء بيع وشراء، بما فيها أرض المنيا اللي على النيل!
- إيه؟ بتقول إيه؟ احنا ما بنقسمش أراضي واصل، الأرض حتة واحدة، ومحدش يقدر يمسها، لا بيهمنا كتابة، ولا أوراق، بلوها واشربوا مايتها.

ابتسم يوسف وهو ينظر للحاج اسماعيل وكأنه نجح في أن يساعده أن يكتشف نفسه، غضب الحاج اسماعيل من ابتسامة يوسف الكاشفة، وفكر ثم قدر وقال:

- على العموم! إذا كنت مُصر على دفنها في القاهرة عنديكم؟ عشان تعرفوا تزروها من وقت للتاني؟ أهي عنديكم ادفنوها، وإحنا لازم نمشي دلوقيت عندنا مصالح متعطلة.

يوسف بك وقد تحلى بالصمت مع استمرار إبتسامته الساخرة التي اعتلت شفتيه برغم حزنه العميق على فراق زوجته:

- طيب مش حتاخدوا عزا أختكم؟

- إنت الخير والبركة يا يوسف بك! تسد عننا، بالإذن!

ثم إنصرف الأخوان الكبير والصغير، ولا يجرؤ الصغيرعلى الكلام في حضور الكبيروالطمع يقذي العيون، والحقد يغل الصدور، والأرض تبتلع الأعزاء، وتُبنى القبور، وصاروا مناظر لهياكل لا يُعرف فيها الغث من الثمين، وولوا وجوههم شطر المنيا غاضبين، لأنهم أصبحوا من الميراث محرومين، ولا يهم من هم الموتى؟ بل الأهم من هم على الأرض لازالوا أحياء.

* * *

خيم الحزن على البيت عدة شهور، وكأن الشمس لا تُشرق فيه أبدًا، والحياة فيه تشبهه ليالي الشتاء الباردة.

تسنيم لا تكف عن البكاء ليل مع نهار، وسيطر عليها شيطان الحُزن، ليشعرها دائمًا بحالة مستمرة من التعاسة والشعور بالظلم والقهر، وأن الدنيا سوداء، تخرج من حزن لحزن، فأدخلها في دائرة من الأحزان لا تنته.

يشعر يوسف بالحزن الشديد على فراق ليلى هانم، التي لم ير منها ما يسوءه أبدًا، طوال عشرتها الطيبة، ويذكرها بكل الحب وكل الخير، فلا يريد في تلك اللحظات إلا أن يختلي بنفسه، ويصمت لا يكلم إنسيًا، لا يريد إلا أن يُناجي ربه، تمنى يوسف أن يكون هناك يوم للصمت العالمي، بحيث يسكت فيه الإنسان عن الكلام تمامًا مع الآخرين، بأي وسيلة، ويسترخي فقط، ليتأمل حياته، ما مضى منها وما هو آت بميزان حساس، ويفكر في مستقبله، ويعطي فرصة لحواسه المعطلة بكثرة الكلام والثرثرة، أن تعمل

في صمت، ربما تلك الإجازة من الكلام تغير حياته، أو مصيره، أو تكف أذي عن نفسه أو عن الآخرين.ربما ذلك السكوت، يُريح تلك العضلة المجُهدة، هذه العضلة الخطيرة، التي قد تهلك الإنسان وترهقه وقد تسلمه وتريحه.

يُريد يوسف أن يلوذ بالصمت من حالة الإرتباك، التي يمر بها، بعد أن تكاثرت عليه الكروب والهموم، فهو يُراعى مشاعر تسنيم من جهة، ويريد أن يُكمل حياته من جهة أخرى.

ولا يريد أن تنتهي حياته بوفاة ليلى، ويقف به الزمن عند يوم وفاتها، بل حاول التفكير بإيجابية، وبالفعل حينما قررالزواج مرة أخرى، وبعد تفكير عميق، لم يجد أمامه أجمل وأرق من "يوكابد" ليطلب يدها للزواج، وتلك كانت مفاجأة للجميع، وكل من يسمع ينتابه الذهول والإستغراب، وكانت البداية كيف يُفاتح يوكابد في هذا الموضوع؟ هل يطلب يدها رسميًا من والدها؟ أم يرسل لها بهدية ثمينة؟ هل يُغريها بالمال؟! أم يعرض عليها نفسه بكل صدق ووضوح؟ أم يفعل كأي شاب صغيريشغلها أولاً؟ ويتحدثا في التليفون لأوقات طويلة، ويتقابلا، ويعيشا "مرحلة المراهقة" التي لم يعشها من قبل؟ لأنه كان شخصية جادة جدًا ومكافحة منذ الصغر؟ فكر في أن الناس ستتهمه بالمراهقة المتأخرة! أو أنه يمر بأزمة منتصف العمر، وسيصبح وقتها جميع الأهل، والأصدقاء محللين نفسيين، ثم ألقى بجميع الإحتمالات وراء ظهره، واستفتى قلبه، فاتجه باكرًا ناحية سيارته، التي جهزها له السائق، وأعفاه من السواقة في هذا الصباح، لينتظر يوكابد ويقوم بتوصيلها للجامعة.

يوسف:

- صباح الخير يا برنسيس

يوكابد:

- أنا؟ صباح النور يوسف بك، أنا برنسيس؟

قالت تلك الكلمات وهي مبتسمة، ويعتبر هذا الصباح في نظرها يبعث الحياة من جديد.

يوسف وهو يميل برأسه جهة اليسار قليلاً:

- طبعًا! أحلى برنسيس كمان

يوكابد وقد ابتسمت وارتفعت معنوياتها جدًا، لأن "يوسف بك" يمثل هرم بالنسبة لها، لدرجة أنها كانت تحبه وتخشاه وهي صغيرة، فهو رجل أنيق الهيئة له هيبة ووقار، فحينما يتحدث إليها بتلك اللهجة الناعمة، والطريقة الراقية، يرفعها إلى مستواه في الحوار، فتشعر وكأنها إحدى قريباته أو صديقاته. ومجرد هذا الشعور يعد انتصار.

علاوة على إنها تعجبه، فهذا ليس سرًا أبدًا، بل هو شئ تنطق به عيناه، وتشعر به "يوكابد" منذ أن رأت إبتسامتة التي تسبق "صباح الخير"، استجابت يوكابد، وهي لا تصدق نفسها من الفرحة، تكاد تطير من على الأرض، لكنها تجاهد نفسها، محاولة إخفاء تلك المشاعر، حتى لا تقلل من نفسها التي تشعر حقيقة بقلتها.

سألها "يوسف بك":

- ممم؟ حتخلصي محاضرات الساعة كام؟
- الساعة ٦ مساء
- ممكن أوصلك؟

ابتسمت يوكابد في دلال:

- كدا حاتعب حضرتك؟
- بصراحة آه هههه

فضحكت يوكابد في محاولة منها أن تبدو "ساذجة وبريئة" حتى يزداد إعجابه بها.

- ياللا خُدي بالك من نفسك، وإوعي حد يعاكسك، ركزي في محاضراتك! وما تفكريش فيا، والساعة ٦ تمامًا حتلاقيني قدامك.
- اتفقنا!

وابتسمت قائلة:

- سلام.

بالفعل ظلت يوكابد تفكر في يوسف بك طوال اليوم، وتتخيل نفسها وقد أصبحت "هانم ثرية" وشيك وتسافر إلى أوروبا وتايلاند و...

وفي نفس الوقت سترد لتسنيم الصاع صاعين وتتساوى الرؤوس،ولم تدرِ يومًا من قبل أن الدنيا بهذا الإتساع، مرت الدقائق والساعات، بصعوبة بالغة حتى حان وقت اللقاء في تمام السادسة.هربت يوكابد "الميكيافيللية" وزاغت من صديقتها "آسيل"، فهي لا تريد أن تُخبرها بأي شئ، خوفًا من إثارة غيرتها لأنها تعلم مدى إعجابها بيوسف بك،وخشية أن تشي بها عند "تسنيم"، فذهبت لتُعيد تهيئة شكلها، وتضبط هندامها، وتمنت ألا يتعرف "يوسف بك"، على ملابس "تسنيم" إبنته التي ترتديها، وإنتظرت في مكان بعيد عن المكان المحدد، ترمقه من بعيد حتى تتأكد من وجوده وتتأخر عليه دقائق قليلة لتُشعره بالإشتياق إليها، وبالفعل فاح عطره وملأ أرجاء المكان، شعرت يوكابد بوجوده ونفذت ما تُفكر فيه.

يوسف بك:

- أهلاً أهلاً أهلاً "بقمر كلية الطب"، و"فرجينيا" الزمالك، برنسيس "يوكابد"

وإنحنى على يدها ليُقبلها، ثم فتح لها باب السيارة قائلًا:

- اتفضلي يا هانم

جلست يوكابد وهي لاتصدق نفسها، ثم اغلق يوسف بك باب السيارة، وقام يوسف "بقيادة السيارة" بنفسه حتى يتحدث معها على راحته دون قيود، يوكابد تبتسم في انتصار، وشعور عال بالثقة بالنفس وتشعر بالفخر بإعجاب "يوسف بك" بها، فتنتابها مشاعر غريبة من نوعها، مُرضية جدًا للأنا ومُشبعة للنفس ومدعمة للذات فهي الآن هانم بالفعل.

- إيه رأيك نشرب حاجة مع بعض في مكان على ذوقي؟

يوكابد تخفي موافقتها وتدعى التفكير ثم ترد ببطء مبالغ فيه:

- بس كده ممكن أتأخر؟
- ما تخافيش مش حأخّرك

- أوك، بس زي ما قولت مش حتأخر!
- اتفقنا

وبالفعل ذهبا إلى أرقى فندق بالقاهرة مطل على النيل، وكانت جلسة رومانسية جدًا، وشيك للغاية، قام يوسف بك بسحب الكرسي برفق ليوكابد كي تجلس عليه:

- اتفضلي يا برنسيس

قامت يوكابد بحركات زائدة عن الحد المطلوب متلفتة يمينًا، ويسارًا، ثم جلست وكأنها على كوكب آخر فوق كوكب الأرض، فهي لاتُصدق أنها تسمع هذه الكلمات، وبهذا الإهتمام وهذه المشاعر من رجل قيمة وقامة، وقد كان بالنسبة لها بمثابة نجم في السماء، كل ما تفعله هو أن تبتسم فقط، وفي هذه الحالة الخيالية الحالمة ليوكابد، فاجأها يوسف بك وهو ينظر في عينيها بعمق أربكها بشدة، وسألها سؤال صريح:

- تتجوزيني؟

تدللت يوكابد، ثم هربت بعينيها من ذلك الفخ، وكأنه بنظراته إليها حبسها في شبكة اتخاذ القرار.

- ممم؟ سألتك تتجوزيني؟
- كدا مرة واحدة؟
- هههههه لا على مرتين، واللا أقولك طب استني أما أكون نفسي! مش حاكرر طلبي كتير، محتاج رد منك، ومش حاراجعك فيه مهما كان،خُدي راحتك ووقتك وإتخذي قرارك، بس لازم تكوني عارفة، إنك حتكوني جوه عيوني.

طلبت يوكابد من يوسف مُهلة كافية للتفكيروهي تعي أنها لم ولن تجد عرض أفضل من ذلك في حياتها، ربما يكون الحظ دق بابها، وتكون هذه هي الفرصة الوحيدة، لتعيش حياة تليق بها وبعلمها وتنتشل أسرتها أكملها من الفقر، والخزي الإجتماعي. وهما عائدان في السيارة، وقف يوسف بسيارته عند مدخل محل فخم يبيع أفضل أنواع "الشيوكولاتة".

- استني، تعالي! المحل دا عنده شيكولاتة رائعة، تعالي نقي النوع اللي بتحبيه، أنا عن نفسي بحب الأنواع اللي هنا جدًا، اتفضلي.
- مش لازم تتعب نفسك
- مش تعبان خالص، اتفضلي، تحبي الشيوكولاتة البيضاء واللا بتفضلي العادية؟ وبتحبي السادة واللا بالمكسرات؟
- بحب الشيكولاتة بالبندق
- من فضلك عايز كيلو شيكولاتة بالبندق، وكيلو شيكولاتة بيضاء، وأنا طلبي إنت عارفه خليه لوحده

وذهب يوسف بك ليدفع الشيك وقيمته خمسة آلاف جنيهًا، رأته يوكابد حدثت لها فاجعة

- إيه دا؟ بكام كيلو الشوكولاتة؟
- هههههه ليه يا يوكا؟
- قول بس والنبي
- في نوع ب ١٢٠٠ ونوع ب ١٣٠٠
- يالهوي؟ طيب كنت فاصل معاهم
- هههههه هههههه أولاً: بلاش يا لهوي والكلام ده، من فضلك تمسحيه من قاموسك إلى الأبد، ثانيًا: أفاصل في إيه؟ هو ده سعرها، لو عاجبني السعر اشتري،مش عاجبني ما ادخلش المحل من الأساس، لكن أفاصل؟ دا كلام ما يصحش يا يوكا، أوعي تعملي كدا! اللي انتِ عايزاه من عنيا سواء فيه نصيب أو مفيش، ياللا اتفضلي، الشيوكلاتة بتاعتك أهه، ودي عشان تدوقي اخواتك كمان، بالهنا وكل ما تاكلي واحدة افتكريني.
- شكرًا، أصل أنا بصراحة كنت بحسب إن الشكولاتة ب ١٠٠ جنيه بالكتير يعني!
- أيوة في طبعًا بـ ١٠٠ جنيه بس دي سويسري

- يعني بتدفعوا تمن تذاكر الطيران في الكيلو؟ مالها الشيكولاتة المصري؟
- هههههه طيب طالما إنت طلعتي بتشجعي المنتج المصري، حنعدي دلوقت اشتري لك كيلو شيكولاتة مصري، واللي يعجبك كليه بالهنا.

يوكابد قالت في نفسها:

- كويس أدوق إخواتي المصري وآكل أنا السويسري"

ثم قالت ليوسف:

- أكيد طبعا المصري حتكون أحلى، أقولك سر؟
- اتفضلي
- أنا عمري ما دوقت الشيوكلاتة البيضاء
- دوقيها حتعجبك قوي، اتفضلي يا يوكا بالهنا مقدمًا
- شكرًا شكرًا شكرًا
- عفوًا عفوًا عفوًا

* * *

وفي اليوم التالي استيقظ يوسف من نومه وأخذ حمام بارد، فهو من ذلك النوع الذي يستحم بالمياه الباردة صيفًا وشتاءً، لأنه تعود على ذلك منذ الصغر، خاصة وأنه يمارس الرياضة، فهوايته لعب "التنس" والمشي والسباحة.

يمارس هواياته في نادي الزمالك، ثم تناول ملعقة من زيت حبة البركة وفي عقبها كوب من شراب العسل، مرت عدة أيام بعد لقائه بيوكابد، فشعر بالقلق من تأخر يوكابد عليه في الرد، وأنه لا يستحق الإنتظار بهذه الطريقة، وقلة الراحة في معرفة ما انتهت إليه، أيًا كان الرد، فقرر الاتصال بها.

- آلوصباح الخير يا يوكا
- صباح النور
- عاملة ايه
- الحمد لله

- بصي يوكا حبيبتي، انتِ اتأخرتي عليّ في الرد، أنا مش حاضغط عليكي، ولكن حقولك ريحيني بالرد، نعم كافية، أو لا وافية، ومش حازيد في الكلام، ولا حناقشك في رأيك.

يوكابد شخصية نرجسية توافق في قرارة نفسها على الفور من وقت أن طلب يوسف منها الزواج، لأن الآن ليس وقت العواطف، فهي تقف على أولى درجات المواءمة في سلم المصلحة وإن كان للقلب همسات أخري، لكنها تلكأت في الرد كي تعزز نفسها وردت:

- نعم كافية
- هههه نعم كافية؟ يبقى أشوفك النهاردة في الحادية هههههه
- طيب خليها ١١ ونص بين المحاضرات
- اتفقنا حتلاقيني في انتظارك
- باي
- باي يا روحي

تقابلا في الموعد المحدد، وافقت يوكابدعلى الزواج من "يوسف"، بعد أن اشترطت عليه عدة إشتراطات.

فكر يوسف مليًا في جميع الإحتمالات وتفسيرات هذه المواقف عبر التاريخ التي لا تتغير بل تتكرر بنفس السيناريو والتفاصيل.

وأولها أن تكون "يوكابد" طمعانة في ثروته، فأجاب على نفسه بأنه هو الآخر يطمع في شبابها، وجمالها، فلا فرق بينهما، كل منهما يكمل الآخر، وبإمكاننا حذف كلمة طمع ونستبدلها بكلمة حب.

فكان الشرط الأول ليوكابد، هو شراء شقة في نفس العمارة لوالديها وإخوانها، الأمر الذي إعتبره يوسف نوع من أنواع الولاء المحمود في يوكابد لأهلها، وأنها بارة بهم، ولا تريد أن تنجو بنفسها فقط من السفينة، رضخ يوسف لطلبات يوكابد، وكاد

يرقص قلبه فرحًا وطربًا من أنها ستصبح زوجته، وبالفعل اشترى شقة، بعد محاولات مُضنية مع صاحبها بإغراءه بالمال لينقل إليها سمرًا وزوجها وأبناءهما.

وتم عقد قران يوكابد على يوسف بك، الذي يكبرها بخمس وعشرون عامًا، وأقيم حفل الزفاف في فندق ٧ نجوم بالقاهرة، ولا تظهر تلك الأعوام -فرق سنين العمر بينهما-، بوضوح في الشكل، بل تذوب في مظهره الذي يوحي بالشباب، لأنه مُهتم بنفسه جدًا ويتمتع بجسم رياضي وأناقة تفوق الحد، بالإضافة إلى أن ثروته تزيده شبابًا وتصهر أية فروق مهما كانت.

فوجهه أبيض يميل إلى الحُمرة، كمعظم أبناء الذوات، وشعره رمادي اللون، وهو الشئ الوحيد الذي يدل على أنه في خريف العمر.

حضر الحفل لفيف من الأهل والأقارب والأصدقاء، وامتنعت تسنيم عن حضور هذا اليوم المشئوم في نظرها، انتهى الحفل ببهجة وسعادة بالغة.

- إنت عارفة إن أنا اللي سميتك يوكابد؟ يوم ميلادك؟
- بجد؟ أول مرة أعرف
- والدك كان عاوز يسميكي مبروكة، لإنه كان متفائل بيكي جدًا، وأنا اقترحت عليه إسم يوكابد.
- ويعني إيه يوكابد؟
- دا اسم عبري قديم، وكانت أم سيدنا موسى اسمها يوكابد، وملقبة بالمتوكلة
- إيه ده؟ يعني ممكن الناس تعتقد إني يهودية؟
- هههههه ليه بس؟ وكل اللي اسمها مريم مسيحية؟
- لا طبعًا لي صحبات كتير مسلمات اسمهم مريم.
- طيب، السيدة مريم البتول أشرف نساء العالمين، ذكرت في القرآن الكريم، والمسلمين بيسموا اسم مريم كتير اجدًا من حبهم فيها وإيمانهم بالأديان السماوية.
- بس أنا أول مرة أعرف المعلومة دي.

- وأم سيدنا موسى، ذكرت في القرآن، واحنا مؤمنين بكل الرسل وبالكتب السماوية، وعندنا تاريخ ديني وتراث زاخر، يُغنينا عن استيراد حتى الأسماء.
- كل حاجة عندك لها معنى وحكمة، هو ممكن الإنسان يتولد مرتين؟
- هههه ليه لأ؟
- – أنا حاسة إني النهاردة إتولدت من جديد، يعني مكتوب لك تنقذني في كل مراحل حياتي.
- إنتِ حياتي
- بحبك
- بعشقك

أكملا ليلتهما بسعادة لطلوع النهار، على أنغام سيدة الغناء العربي أم كلثوم "ألف ليلة وليلة" في ليلة حب حلوة بألف ليلة وليلة...

وبعد مرور يومين على زواجهما، تفحصت يوكابد الصور التي تم التقاطها في (الفوتوسيشن) وبأزياء مجهزة مسبقًا متشابهة في الألوان، تفحصتها بابتسامة حائرة غير مفهمومة ثم فتحت يوكابدالـ (جيست بوك) لتقرأ تهنئة المدعوين وأمنياتهم لها، فقرأت العديد من الأمنيات المبهجة، وتوقفت عن تهنئة (ألف مبروك. ربنا يتمم بخير.. أنعام سالوسة) فضحكت كثيرًا، ثم قرأت:

(فوتو سيشن؟ هههه وجيست بوك يا بنت أبوشنب؟ بعد ما كان حلمك تعملي فرح فوق السطوح! عمرك ما حتتهني أبدًا)

تجهمت يوكابد جدًا بعد هذه الكلمات السخيفة وتوقعت من كتبتها، ثم عبارة أخرى:

(مبروك يا خبيثة عريسك المقرش، المريش، بس يا حرام أد جدك هههههه)

ثم توقفت عن القراءة خشية أن تقرأ ما يضايقها أكثر من ذلك، بالرغم من حقد بعض المحيطين، إلا أن يوكابد تشعر بأن الله أهداها رجلا حقيقيًا، رصينًا، حكيمًا، ناضجًا، متحرر من العقد النفسية، وكأنه خرج لها من كتب التاريخ القديمة القيمة، فلم تتخيل

"يوكابد"، يومًا أنها ستعيش تلك الحياة وستحتل تلك المكانة عند يوسف بك بجلالة قدره عند الجميع.

خرجت بعد ثلاثة أيام من الزواج وترسم السعادة ابتسامة جميلة على وجهها النضر، لتجد والدتها سمرا تمسح درج العمارة، فتتلاشى الابتسامة ويحل محلها تكشيرة قاتمة وغضب شديد.

- ماما؟ انت بتعملي إيه؟
- بمسح السلالم يا بنتي
- ليه يا ماما مش خلاص؟ دي ما بقتش وظيفتك، إنتِ ساكنة في العمارة هنا، زيك زي أي هانم، يجيبوا هما حد يسمح السلالم واللا عنها ما إتمسحت.
- يا بنتي أنا بقالي دلوقت عشرين سنة، مخلية السلالم دي زي الفضة ألمعها كل يوم.
- ماما أبوس إيديكي خلاص! خلاص يا ماما! إنسي الكلام ده كله! من فضلك سيبي اللي في إيديك دا، إنسي الكلام دا خالص، إرتاحي لو سمحتى وطلباتك حتجي لك لحد عندك.
- مين يا بنتي يجيب طلباتي، حاجتي أجيبها بإيدي.
- هاتيها يا ماما! هاتي كل حاجتك بايدك، بس لو سمحتي مالكيش دعوة بأي حاجة في العمارة، وإقفلي باب الشقة ما تسيبهوش مفتوح، والنبي يا ماما عشان خاطري حرام عليكي يا ماما! ما تحرقوش دمي، إعملوا زي باقي سكان العمارة.
- حاضر يا دكتورة أمرك.

* * *

آسيل:

- آلو إيه يا سيمو؟

تسنيم بصوت مخنوق:

- أيوة يا سيلا
- مالك؟عاملة معاكي إيه بنت البواب؟

- زفت! عاملة زي أي خدامة ما بتعمل، أنا فوق علطول عشان ما اشوفش وشها
- لالا هههههه، بس عظيمة بنت البواب! شوفتيها كانت قاعدة إزاي؟ وماشية إزاي؟ عظيمة هههههه، عظيمة بجد يعني.
- بصي أنا مش طايقة اسمع اسمها، ولاأشوف وشها،ومش عارفة حاكمل حياتي ازاي بالشكل دا؟
- تصدقي إنها اتهربت مني أنا واتخابثت عليّ؟ بس معلش.
- ما تيجي
- آجي ليه ما نخرج؟
- -مش عايزة اخرج تعالي بس
- حاضر

* * *

خرج يوسف بك للتنزهه بصحبة يوكابد، وكانت تلك السهرة في مركب عائمة، تسير في النيل وكالعادة يوكابد تتألق، وتحيطها هالة من الضوء، والجاذبية،الطاغيتين اللتين تجعلاها وكأنها نسمة باردة في حر الصيف، تدعو كل من يراها أن يبتسم قليلاً، وذلك قطعًا بإستثناء النساء، اللاتي تتلون وجوههن في حضورها.

ثم جلسا في المكان المحجوز مسبقًا لهما في ركن هادئ جميل على أنغام الموسيقى الهادئة ويُضيف إلى روعة المكان روعة الجمال الرباني ليوكابد.وأناقتها البالغة.

كان يوسف يسعد بجمال يوكابد الطاغي، وكأنه يتباهي به وأنها له وحده، وجاء صديق له يدعى "فتحي" يسهر في نفس المكان قدرًا ليصافحه، فاستقبله يوسف بسعادة بالغة وتهامسا قليلًا بكلمات لطيفة وتعالت ضحكاتهما، ثم استدار فتحي ليصافح يوكابد هانم زوجته، ومد يده بالمصافحة:

- أهلا يا هانم

فقامت يوكابد بسرعة من مكانها واقفة لتسلم عليه، وهي ترتدي "قفازها" الجلد الطبيعي، تلون وجهه يوسف بك ضيقًا وحرجًا، صمم يوسف أن يدعو صديقه

فتحي ليتناول وجبة العشاء معهما، فاستجاب بعد إلحاح من يوسف، بشرط أن يتناول العشاء ويستأذن على الفور حتى لا يكون ضيف ثقيل على العروسين الجدد، فوافق يوسف، وبالفعل بدأت الأطباق تنزل على الطاولة تباعًا.

وتجاذب فتحي الذي يتميز بخفة الظل أطراف الحديث مع يوسف محاولًا مناغشته وحسده على جمال يوكابد وذوقه العال، وتعالت الضحكات أثناء تناول الطعام.

وسألت يوكابد وهي تأكل الأرز:

- إيه دا؟

فنظر إليها فتحي لأقل من ثانية ثم استدار بوجهه متصنعًا الإنشغال بشئ آخر وكأنه لم يسمع سؤالها حتى يتيح الفرصة ليوسف أن يجيبها دون إحراجها.

فأجابها يوسف هامسًا:

- صنوبر، دا رز بالصنوبر

فهزت يوكابد رأسها صامتة كالطفلة المطيعة ، وانتهى العشاء واستأذن فتحي بابتسامة واسعة تنم عن سعادة بالغة لتلك الدعوة والصدفة الجميلة على وعد باللقاء في أقرب فرصة، لاحظت يوكابد تغير لون وجهه يوسف فسألته:

- مالك يا يوسف في إيه؟

- مفيش يا حبيبتي ،بصي يامامي، أولاً: الجوانتي دا! ما ينفعش تسلمي على حد وإنت لابساه، عشان عيب، اللي عملتيه دا عيب! ده مش جوانتي تعقيم، سيادتك بتلبسي الفردة الشمال، وتخلعي الفردة اليمين تمسكيها بالشمال، عشان تسلمي باليمين من غير جوانتي، كنت حقولك أكيد على مهلنا، لكن حصل وقابلنا ناس قدرًا بدون موعد سابق أو ترتيب.

ثانيًا: حضرتك ليدي، برنسيس، ما تقوميش تنطري من مكانك تقفي لأي راجل عشان تسلمي عليه، تفضلي حضرتك قاعدة مكانك هانم وهو لازم يقف عشان يسلم عليكي، حتى لو قاعد يقوم يقف، الأصول بتقول كده لكن اللي حصل ده أتمنى ما يتكررش.

ثالثًا: أما ما تعرفيش حاجة تسأليني أنا بصوت خفي في وداني مش لازم كل الدنيا تعرف إنك ما تعرفيش الصنوبر.

إحمر وجه يوكابد خجلاً من نفسها ومن يوسف وقالت:

- طيب علمني، معلش سامحني إذا كنت في حاجات كتير مش فاهماها.

وهو غاضب رد عليها:

- طبعاً مسامحك، مش زعلان أبدًا، موقف وعدى خلاص، بس بعد كده تاخدي بالك، وأكيد حاعلمك كل حاجة لأنك تستاهلي أحلى حاجة في الدنيا.
- إيه رأيك نقوم نقف شوية؟!
- ياريت يكون أفضل

ثم وقفا قليلاً ليستمتعا بمنظر الأضواء الممتده على ضفتي النيل، وجمال القاهرة ليلًا، فسقط التليفون المحمول من يد يوكابد على الأرض سهوًا، فسارعت يوكابد بالإنحناء لالتقاطه من الأرض، فغضب يوسف غضبًا شديدًا من تصرف يوكابد، وشعر أن السهرة فسدت بتلك السخافات

وقال بلهجة حادة جدًا:

- إيه اللي عملتيه دا؟

ردت يوكابد باستغراب مع قليل من الخوف:

- إيه؟
- يوكابد اللي انت عملتيه ده ما يصحش أبدًا
- عملت إيه؟
- الشكل ده غلط! مفيش ليدي توطي بالطريقة دي
- –طريقة إيه؟ بجيب الموبايل!
- يا مامي تتني ركبتك، وكأنك حتقعدي، وتجيبي اللي انت عايزاه، مش تتقلبي بالشكل ده؟ وليه أصلاً؟ ما تقوليلي وأنا أجيبه لك أو تسيبيه يقع في ستين داهية، وأجيب لك غيره، بدل المنظر اللي عملتيه ده!

- انت مكبر الموضوع قوي
- بصي يا مامي انت ليدي، عارفة يعني إيه ليدي؟خلاص ما بقتيش واحدة عادية، من بكرة لازم تبدأي في دروس الإتيكيت.
- حاضر.

انتهت السهرة بمواقفها المختلفة، ورجعا إلى بيتهما، لكن يبدوا أن الليلة لم تنته بعد، وأن هناك حوار داخلي ليوسف ولديه ما يريد أن يبوح به.

يوسف:

- يوكابد حبيبتي في موضوع مُهم عايز أكلمك فيه
- إتفضل يا حبيبي
- أنا عمري ما أكلت من إيد شغالة، وسهل جداً اتعاقد مع أي مطعم، يورد لنا الغذاء كل يوم، وجبات مختلفة، لكن أنا فعلاً عايز آكل من إيديك
- بس أنا ما بعرفش اطبخ، عشان كنت متفرغة للمذاكرة فقط
- عارف ومش حاخليكي تطبخي كل يوم، بس لازم تتعلمي الطبخ، عشان لو حبيت آكل من ايديكي، اتصرفي خدي كورس، أو ادخلي على اليوتيوب، المهم تتعلمي، وأنا عارف إنك شاطرة وتقدري.
- أوك بسيطة. بس هو دا الموضوع المهم؟
- بصراحة لا، فيه حاجة كمان عايز اتفق معاكي عليها
- ممم خير؟
- يوكا، حبيبتي أنا عايزك كل يوم الصبح تقومي من النوم تاخدي شاور، حمام صيف شتاء
- صيف شتاء؟ في الصيف ماشي لكن في الشتاء أبرد وشعري يبوظ
- في الصيف حيبقى شور الصبح وشور قبل ما تنامي، وفي الشتاء مش حتبردي ولا حاجة حتتعودي.أما شعرك مش لازم تغسليه كل يوم، وهتلاقي كوافيرة

تحت أمرك في أي وقت، مخصوصة للاهتمام بشعرك كويس جدًا، صدقيني الموضوع ده حيفرق جدًا في أدائك في الحياة بشكل عام.

- حاضر
- حاجة كمان:عايزك تشربي عصير برتقال كل يوم الصبح وتاكلي تفاحة
- بسيطة، حاضر، بس اشمعنى دول بالذات؟
- المخ بيتغذى على إيه يا دكتورة؟
- على حاجتين: الأوكسجين والمادة السكرية، السكريات الأحادية اللي فيها ذرة واحدة للكربون **c1**
- كويس جدًا، دكتورة شاطرة،والسكريات الأحادية موجوده في إيه؟
- في الفاكهة، فعلا سكر الفاكهة أسرع حاجة ممكن توصل للمخ، يعني ممكن يستفيد من السكر الأحادي بسرعة لأن المخ بيحرق السكريات بسرعة جدًا
- طيب ما انت جاوبتي على سؤالك أهو يا دكتورة.عارفة الفطار العالمي في كل فنادق أوربا إيه؟
- إيه؟
- الزبدة والمربى، لازم! لا يمكن تلاقي فطار في فندق من غيرهم،علشان المادة السكرية للمخ ويدي طاقة عالية جدًا، وبالنسبة للتفاحة في مثل بيقول: تفاحة كل يوم تغنيك عن الدكتور.
- بس أنا بشوفك بتاكل حاجة مختلفة يوميًا
- اللي هي إيه؟
- بشوفك بتاكل "زبيب على لوز" بستغرب جدًا، أصلي مش بحب طعم الزبيب
- آآه فعلًا متعود آكلهم كل يوم، علشان خلايا المخ بتتجدد، وتتغذى بالزبيب واللوز مع بعض
- ومين قالك على الحاجات دي؟
- أخصائي التغذية اللي بتابع معاها نظامي الغذائي.

- عشان كده محدش بيديك سنك ابدًا وماشاء الله، ذهنك حاضر،ومركز طوال الوقت، في كل كبيرة وصغيرة.
- هههههه، هي دي الحياة! لازم نكون أدها عشان نقدر نعيش كويس، ونواجه تحدياتها.
- يعني صدقوا اللي كانوا بيقولوا فلان دا ابن عز، مش زيينا أما نجوع ناكل أي حاجة
- أي حشو بطن يسد الجوع، انت بتاكل حاجات معينة، فيها فائدة معينة انت عارفها.
- والله حصل كتير إني كلت أي حاجة تسد الجوع، لكن أما ربنا يديكي الجمال دا كله، مش لازم نحافظ عليه؟ واللا نسيبه يضيع من ايدينا؟ بأكل النشويات بس؟
- عندك حق في كل كلمة بتقولها، بصراحة طريقة تفكيرك نفسها مختلفة، انت بتعلمني أعيش باسلوب حياة مختلف، انت مبهر يا يوسف، إنت عامل لي حالة من الإبهار والإعجاب غير مسبوقة.
- وكمان عايزك تشربي الصبح كوباية ماية دايب فيها ملعقة عسل نحل، تأكدي إنك حتلاقي إسطول في خدمتك، يساعدك في كل شئ، بس إنت تؤمري، تشاوري تلاقي الكل رهن اشارتك، بما فيهم أنا وتحت أمرك.
- ربنا ما يحرمنيش منك أبدًا أبدًا، طيب، كل الحاجات اللي طلبتها مني سهلة جدًا، هو دا الموضوع المهم؟
- – بردو لا
- حيرتني، أمال إيه الموضوع؟
- حبيبتي السكان اعترضوا على سكن أهلك في العمارة، وأدائهم، وإنهم بيسببوا إزعاج لهم، خاصة إنهم سايبين باب شقتهم مفتوح طوال الوقت، وأصوات حياتهم اليومية خارجة من الباب، والشباك، والجيران بيعتابوني على الموضوع دا. بجد مش عارف أعمل إيه؟

يوكابد في سرها:

- والله عندهم حق أنا لو مكانهم حاعمل كدا وأكتر من كدا كمان.

ثم قالت ليوسف بصوت مسموع متصنعة أنها على حق:

- يعني إيه إعترضوا؟ مش من حقهم يعترضوا على سكان عايشين زيهم في العمارة!
- بُصي يا حبيبتي، من غير ما تضايقي نفسك، أنا ممكن أشوف لهم سكن في أي مكان غير هنا، وفي المكان اللي يعجبك وإنت تختاريه.
- بالبساطة دي؟! خلاص موافقة طبعًا.

انتهي الحوار بينهم لكنه حوار مبتور، له تكمله في "ذهن يوكابد"، فهي تريد تحقيق الطفرة بكل حذافيرها لها وللعائلة ولن ترضى بالرجوع للطبقة الدنيا مرة أخرى، مهما كبدها ذلك من عناء ومشقة.

فكرت يوكابد كيف تستفيد من التاريخ الفني الزاخر بالأفلام والمسلسلات، في كيفية التأثير على رجل في هذه السن، خرجت يوكابد واشترت بدلة رقص، وردية اللون، مُزركشة ومرصعة بالفصوص اللامعة لتفاجئ يوسف ليلا بشكلها وهي ترتديها، أدارت موسيقى قديمة "شيك شك شوك" "للرقص البلدي" فهي لاتحب المهرجانات، ولا تجيد الرقص عليها.

حضر يوسف ونظر ليوكابد ولم يصدق عينه، استقبلته يوكابد بابتسامة عريضه وأخذته لأحضانها ، نظر إليها يوسف بكل حب:

- أنا مش قادر اتكلم
- ما تتكلمش، ياللا أقعد هنا على "الصوفا"، علشان تقولي رأيك في رقصي.

فعلا استلقى يوسف، وهو لا يحرك عينيه عن يوكابد، وبدأت ترقص بطريقة مثيرة، وقضيا سهرة جميلة، وفي نهاية الليلة بدأت يوكابد في تنفيذ ما خططت له.

- يوسف حبيبي
- عيون يوسف
- هو إنت حتشوف لماما وبابا سكن فين؟

- مش عارف ما قررتش لسة بس ممكن في أي مكان قريب
- ممكن يا حبيبي تشوف لهم في جاردن سيتى؟

نظر إليها يوسف بإستغراب، فقالت له يوكابد وهي تهز رأسها هزة خفيفية بمعنى السؤال، متصنعة الغباء:

- ممم؟! في إيه؟! بتبص لي كدا ليه؟
- أبدًا، بس اشمعنى جاردن سيتي؟
- جاردن سيتي علشان تبقى شقة ليهم، ويكون جنبها شقة تانية تصلح عيادة ليا، واللا عايز حرم يوسف بك أبو ليلة تفتح عيادة فين يعني؟ مش لازم حاجة تليق بمقامك؟
- أيوه بس المناطق دي يا روحي مفيهاش خرم إبرة فاضي، ومحدش بيفرط فيها بسهولة.
- مفيش حاجة تصعب عليك إتصرف!

وهي تبتسم في دلال مع هزه بسيطة لكتفها مع استدارة لوجهها المستدير كالبدر في تمامه.

- حاضر! عيوني إنتِ تؤمري أمر يا برنسيستي، المهم تكوني راضية ومبسوطة
- راضية، ومبسوطة، ومفيش حد في الدنيا دي كلها أسعد مني.
- بصراحة؟ بتحبيني؟

يوكابد وهي تبتسم ابتسامة طفولية:

- بموت في الأرض اللي بتمشي عليها.

وتُقبل يوسف لتجعل قلبه يُغّرد كالعاصفير.لا يُصدق هذه الحالة المبهجة، التي يعيشها مع حورية من الجنة هبطت على الدنيا لتكون زوجته، وظل ينظر إليها في دهشة، وكانت تلك الإجابة بالنسبة ليُوسف بمثابة المصافحة الذهبية، بين الحب، والجمال، والعلم،والدلال، والمال، فلا يوجد على وجه الأرض من هو أسعد منه، وكأن شعوره بالحب المتبادل أنجح عملية تجميل تم إجرائها في العالم، وظهرت

نتائجها على وجهه، وبالنسبة ليوكابد تشعر أن يوسف كلما منحها حبًا، كلما أصبح لديه مزيدًا من الحب، بالإضافة إلى دماثة أخلاقه، النادرة الوجود في هذا الزمان، تشعر بقوة حب العقل اليقيني -فالعقل دائمًا يؤثر المنفعة- الذي تشعر به.فأحبت يوسف بعقلها أولًا ثم أقنعت قلبها كما لو كانت لم تحب من قبل.

* * *

يوكابد تتجاهل تسنيم، ولا تقيم لها أي وزن، ولا تعتبر لوجودها، بل تعتبرها هواء، أو لا شيء.فما تسعد به الآن أنساها أي رغبة في الإنتقام من تسنيم، فعلاً لو علم الظالم ما أعده الله للمظلوم لضن عليه بظلمه.

خاصة بعد أن أحكمت يوكابد السيطرة على قلب يوسف، وتحكمت في تصرفاته كالمثل القائل: من لا تستطيع أن تجره من عنقه تستطيع أن تقود قلبه، وأصبحت سيدة المنزل الذي وقفت لتخدم فيه يومًا ما.هذا في حد ذاته يشعرها بالإنتصار، لأنها أصبحت صاحبة الكلمة العليا في هذا البيت.

يوكابد:

- يوسف حبيبي الورد دا جميل جدًا بس!
- بس إيه؟
- أنا شوفت الفاتورة النهارده، غالي جدًا جدًا! مش لازم يا يوسف الورد المستورد من هولندا. ماله الورد البلدي المصري؟ نطلبه مرة واحدة في الإسبوع وأنا سأعتني به.
- أمرك يا برنسيس، اللي انتِ عايزاه، وحتوفري كتير كمان.
- اتفقنا، بس الفرق بتاعي
- بس كده؟ كل حاجة هنا بتاعتك حتى أنا كمان.

حضرت سمرا وأبو شنب لزيارة يوكابد وبصحبتهم إخوانها الصغار، فرحت بهم يوكابد جدًا، لكن أزعجها مظهرهم، حاولت تعديله فيما بعد على مراحل تدريجيًا، وجاءت (فريدة هانم) عمة تسنيم، في نفس التوقيت لتطمئن عليهم، تفاجأت بجمال

يوكابد، فهي كانت خارج البلاد حينما تزوجها أخيها يوسف، انبهرت بجمالها، وعاملتها بلطف، فأثار ذلك حقد تسنيم وغيرتها.

وقامت يوكابد هي الأخرى بالترحيب بأخت زوجهاوقالت لها:

- تحبي تشربي إيه؟ واللا تتغدي معانا؟
- ميرسي جدًا! دا مش ميعاد غدايا ممكن آشرب (أورنج جوس) عصير برتقال.
- حالًا جيهان تعمله لحضرتك حالًا
- ميرسي

نظرت فريدة هانم لعائلة يوكابد فرد فرد، فقد تفاجأت بمظهرهم المتواضع جدًا، وكانت تطيل النظر إليهم، وكأنها دخلت متحف، أو منطقة شعبية، لم يسبق لها دخولها وحينما لمحت يوكابد نظراتها، وفهمت معانيها المختلفة، استشاطت غضبًا، وحاولت التصنع بأنها لا تبالي ولا تتحرج من عائلتها.

همست فريدة هانم في أذن ابنة أخيها "تسنيم" قائلة:

- جميلة قوي يوكابد، بس وضع عيلتها صعب قوي، ده أنا لو شفتهم في إشارة حديهم أي حاجة لله، يوسف بيتعامل معاهم إزاي؟ وهم زي اللي بيقفوا يشحتوا في إشارات المرور.

تسنيم تمط شفتيها وترفع حاجبيها بمعنى أنها لا تعلم، وقد تأثرت جدًا بكلمة "جميلة قوي يوكابد"، فردت عليها بغيظ شديد:

- مش كل حاجة الجمال على فكرة!
- لاا!!، عند الرجالة كل حاجة الجمال
- لا يا فريدة، مش عند كل الرجالة، عند بابي بس، بدليل إن كل معجبيها، بيرحلوا عنها بمجرد ما يعرفوا إنها بنت بواب وولا حد اتقدم لها وطلب ايديها للجواز غير بابي بس، ولا حتى ابن البواب اللي زيها.
- معقول؟

- أيوه معقول مين هيناسب عيلة متدنية زي دي؟ طبعًا مفيش غير بابي هو اللي قبل بعيلة زي دي، ولو تحبي تتأكدي، اسألي وانت تعرفي كلامي صح واللا غلط.
- هههههه، يوسف حبيبي قلبى قلبه طيب
- طيب؟ والطيب ده إزاي يضايق بنته بالشكل دا؟ واللا الطيبة دي مع يوكابد بس؟ بس يا فريدة علشان أنا مقهورة
- ليه بس؟ سيبي كل واحد ينام ع الجنب اللي يريحه
- وأنا؟ مش لاقية أي جنب يريحني.

ظلت تسنيم تتهامس مع فريدة عمتها وطال حوارهما.

*****

وعلى جانب آخر من البيت الفسيح ذهبت سمرا ليوكابد قائلة لها:

- يابنتي في حاجة إسمها أجيب لك تاكلي؟ جعان أفت لك؟ هو في حد حيقولك هاتي آكل؟ اللي يدخل بيتك لازم ياخد واجبه يا أماه، تحطي الأكل علطول، من غير ما تسألي، وتحطي كل اللي عندك كمان على الطبلية، هي دي الأصول يا أماه إكرام الضيف واجب.
- طبلية؟
- ماما مفيش هنا طبلية ونظامهم مش كدا، تعالي ياللا عشان نتغدى كلنا مع بعض على السفرة.

تناولو جميعًا وجبة الغذاء، وحينما فرغوا من تناول الطعام، قامت سمرا تجمع الأطباق الفارغة، وتريد إدخالها المطبخ لتغسلها.

يوكابد:

- ماما بتعملي إيه؟

سمرا:

- بشيل الصحون وحادخل أغسل المواعين

- ماما لو سمحتي سيبي كل حاجة مكانها، فيه شغالين هنا يقوموا بالمهمة دي، واتفضلي اغسلي ايديك، وتعالي نحلي مع بعض أدام التلفزيون
- طب يا بنتي مش تساعديهم ينوبك ثواب دول شقيانين
- أساعد مين يا ماما؟ دي وظيفتهم، وبيقبضوا عليها راتب شهري، ياللا يا ماما تعالي لو سمحتي.
- يا بنتي حني ع الغلابة ما تبقيش قاسية عليهم
- قاسية فين بس؟ حاضر يا ماما تعالي
- طيب، أنا عايزه أسلم على الست "تسنيم" هانم، عيب ميصحش أبقى هنا وما اسلمش عليها.
- نعم؟ الست "زفتة الطين" مين؟ ماما! لو سمحتى بلاش تكلميها بالطريقة دي! ماما! دلوقت خلاص الروس ساوت بعضها، وبعدين ما هي قاعدة متلقحة زي "البومة" جوه طول الوقت عاملة غيامة غم على البيت وشافطة كل الاوكسجين اللي فيه، ومش بتحب بنتك أساسًا
- ليه بس كده؟ المفروض تبقوا زي الإخوات، ليه كده يا بنتي العداوة دي؟
- إنت بتسأليني أنا؟ هي واحده مش طايقاني من قبل ما اتجوز باباها، حتحبني بعد ما اتجوزته؟
- لا طبعًا، بس يا بنتي دي مكسورة، راعي بردو وفاة والدتها مش سهل عليها
- هو أنا اللي موّوتها؟ هو ربنا عايز كده!
- يا بنتي البنت شكلها بقى يُغم النفس ووشها أصفر بقت عاملة زى البطة الراقدة على بيض.
- وأنا مالي؟! أعملها إيه يعني؟ يا رب تفقس حتى! ماليش دعوة.

* * *

استكانت تسنيم وانزوت في أحد أركان البيت، تشعر بالتعاسة وقطار الحياة يسيرمن حولها، وهي في حالة سكون دائم، تفوح منها رائحة الكراهية الشديدة ليوكابد

والغيرة منها، ولم يمنعها من الانتقام والثأر منها إلا الشعور بالعجز، لكن صدرها لا يزال موغرا، خشية أن يكون لها إخوة جدد من يوكابد يشاركونها الحياة والميراث، وتتنازعها المشاعر السلبية، ما بين اليأس من تجاوب عاصم معها وبين فقدانها لوالدتها ووالدها هو الآخر، بدخول يوكابد اللعينة حياتها قسرًا، وسيطرتها على كل شئ، يشعرها بالإكتئاب الشديد، وأحيانًا تفكر في الإنتحار.

وبالرغم من أن زواج يوكابد السريع من والدها يؤكد أنها لم تفكر يومًا في "عاصم"، إلا أن حنقها ازداد عليها، وازدادت غيرتها منها، بعد أن كادت تشاركها في كل شئ، وأهم شئ والدها، وهو الشخص الوحيد الباقي لها من عائلتها والثراء التي كانت تنفرد بالتمتع به وحدها، ولم يشغلها يومًا، بل حقيقة لا يشغلها حتى الآن، لكن كل ما يشغلها هو رفضها لفكرة تمتع يوكابد اللعينة به فقط، وحدوث تلك الطفرة في حياتها التي جعلتها تغير جلدها وصنعت منها ندًا لها تتفوق عليها في الجمال، وترتاد نفس المحلات، وتقتني المجوهرات التي كانت لا تحلم أن تراها في منامها، وأطقم الألماس.

إرتدت أفخم الثياب التي أبرزت جمالها، ومعها المجوهرات المتنوعة -المرصعة بالألماس- التي تليق بها. تعلمت فنون الإتيكيت من معلمة الأميرات. درست الفرنسية، أصبحت تتحدث اللغة "الفرنسية" بطلاقة، وأتقنت اللغة "الأسبانية" بالإضافة إلى "الإنجليزية"، التي تدرس بها وتعلمت "فنون الطبخ"، أيضًا بل أصبح من هواياتها.

غدت يوكابد من هوانم "الزمالك" شكلاً وموضوعًا فلمَ لا؟ وهي التي لا ينقصها أي شئ، بل تفوقت على بعضهن في الجمال والعلم، تسافر أوربا دولة بعد الأخرى، وتذهب إلى "جزر المالديف" صيفًا في قارة آسيا، بعد أن كان حلم حياتها أن تقضي صيفها في "بلطيم" أو "جمصه"، وكانت ترى"شرم الشيخ" في الأفلام فقط، كل شئ تغير وتغيرت هي معه، وكل عام يمر من عمرها، يزيدها جمالاً ونضجًا.

تشعر تسنيم أن إرادة ربنا أن تنغص يوكابد عليها حياتها بأي وسيلة، أما عاصم فلم ولن يلتفت إليها إلى الآن، ولا أمل يُرجى منه، مرت الأيام وازداد وزن تسنيم، فهي لا تريد الخروج من البيت، ولا تريد أن تفعل أي شئ في حياتها، انزعج يوسف جدًا من تدهورأحوالها تدريجيًا من سيء لأسوأ، فحاول التقرب منها والتحدث إليها:

- تسنيم، تعالي يا حبيبتي مالك في إيه؟
- مالي يا بابي؟ ما أنا كويسة أهو!
- أنا ملاحظ إنك متغيرة جدًا، أنا مقدر حزنك على المرحومة والدتك، لكن كمان، أنا شايفك بتكرهي "يوكابد" جدًا ومن غير سبب منطقي! ليه فهميني؟ لو في حاجة أنا مش عارفها قوليلي يا حبيبتي؟.
- المرحومة والدتك؟ هي ما كانتش مرات حضرتك؟ خلاص نسيتها بالسهولة دي؟ وكل اللي يهمك يوكابد؟ بحبها واللا بكرهها؟ ومش مهم أي حاجة تانية، ولا أنا أساسًا أهم حضرتك.

وتابعت بلهجة درامية:

- لسه فاكر تسألني؟ لسه واخد بالك مني النهاردة؟!
- ايه اللي بتقوليه دا؟ والدتك الله يرحمها أنا عمري ما زعلتها، طول عمري بحبها، واحترمها، وعمري ما خُنتها، بالرغم من إنه كانت بتتعرض علي "نجمات " للزواج، لكن عمري ما فكرت أجرحها، وكان في بينا أسرار محدش مطلع عليها غير ربنا، أنا مش مطلوب مني أبرر لك تصرفاتي، أظن من حقي أكمل حياتي؟ واللا أموت أنا كمان بالحياة؟ وانتِ بنتي حتة مني وحتفضلي طول عمرك بنتي حبيبتي، أنا فاكرك طول الوقت وملاحظك، قلت اسيبك على راحتك تيجي من نفسك تكلميني، لاقيتك ما بتجيش جيتلك أنا.
- – سألتني عن رأيي؟ أخدت رأيي في الهانم بنت البواب؟ اللي حتعيش معايا في نفس البيت؟ وكمان تشاركني في كل شئ؟ اهتميت بمشاعري؟

وبنت البواب بتحل محل مامي؟ عملت كل اللي يسعدك، وكأنك مش شايفني، ولا ليا وجود في حياتك، وجاي دلوقتي تسألني مالك؟ ماليش يا بابي.

بابي كويس ان حضرتك فتحت الموضوع ده معايا، أنا كمان، كنت جايه أكلم حضرتك، لو سمحت أنا عايزه أعيش لوحدي، أنا حاخد شقة لوحدي أعيش فيها، من فضلك أنا ما بقتش طايقة العيشة دي.

- تعيشي لوحدك؟ لالالا.. إنسي الكلام ده خالص، أنا علمتك في مدارس امريكية آه، ودخلتك الجامعة الأمريكية بس مش عشان تقلديهم في ستايل حياتهم؟ لا عشان تتعلمي منهم العادات السليمة، قلديهم في احترام المواعيد، وتقديس العمل، لكن احترام الأسرة، عاداتنا وتقالدينا ده شئ مفروض عليكي ولازم تحترميه، الأمريكان اللي عايزة تقليديهم دول نفسهم يبقى عندهم أسرة مترابطة زي العرب، مستحيل اسمحلك تعيشي لوحدك مهما حصل، مفهوم؟
- بابي، أنا اتخدت القرار، ولازم اعيش لوحدى، أنا محتاجة اعيش لوحدى.
- مش حاسمح لك يا تسنيم ومش عايز كلام في الموضوع ده تاني.
- بابي
- بابي إيه بس؟ تقدري تقوليلي ناقصك إيه؟ تركيبتك الغريبة دي؟ كل ده من زيادة الدلع والرفاهية اللي انتِ فيها، كل شئ مُجاب، أي شئ وكل شئ بتشاوري عليه به بيكون عندك في لمح البصر، لكن توصل إنك تعيشي لوحدك؟ إنسي، اسمعي يا تسنيم، لو طلبتي أي طلب شاذ عن قيمنا مش حاقبله وحأمنعك بالقوة، ومفيش حياة غير في بيت أهلك أو بيت جوزك، يعني تخرجي من هنا على بيت جوزك فاهمة؟!
- هو فين جوزي ده؟
- -يا بنتي اختاري! حبي واختاري، الحب بيطهر النفوس، ومش مهم أي ماديات ولا أي حاجة، غير إنه يكون راجل محترم، أنا يكون يوم المنى عندي، يوم ما تتجوزي شخص بتحبيه، ويحبك، وشوفي ابوكي حيعمل معاكي إيه!

- بابي مش حاعيش مع بنت البواب في بيت واحد!.

وبلهجة حادة لا تخلو من الشدة والغضب:

- الكلام انتهي، عندي مواعيد، ولينا كلام تاني، اتفضلي!

انتهى الحوار بين تسنيم ووالدها إلى لا شئ، فهناك بون شاسع بين طريقتهما في التفكير، ومشاعرهما الدفينة، وحالتهما النفسية، كل شئ مختلف ومتباين، فاتصلت تسنيم بصديقتها آسيل:

- آلو
- آلو
- إيه يا سيمو عاملة ايه؟
- أنا مش كويسة
- ليه بس في إيه؟ بنت البواب عملت لك حاجه؟
- ما عملتيش أنا
- أمال عملت لمين؟
- عملت لبابي غسيل مخ، في الأول حاضر ونعم ودلوقت بابي اللي بيقول حاضر ونعم
- اتمسكنت لحد ما اتمكنت يعني؟
- بالظبط، آسيل، تعالي لو سمحتي، ممكن تيجي ضروري
- طيب حالاً مسافة السكة

حضرت آسيل على الفور بعد بضع دقائق، وسلمت على تسنيم سلام الفتيات لبعضهن بتبادلا بالقبلات.

- إيه مالك؟ قلقتيني عليكي، عاملة إيه؟ فيكي إيه؟
- بنت البواب، أصبحت كل حياة بابي ومش حاسس بوجودي خالص

- روحي له انت كلميه وفكريه، إن له بنت، ما تسيبهوش لها تستفرد به كده،لالالا!
- بنت البواب بقت حاجة تانية، "أونكل يوسف" عمل لها نقلة في حياتها ما تحلمش بيها.
- بابي؟ بابي حيجيب لي انهيار عصبي.
- على فكرة، وانا داخلة دلوقت ما عبرتهاش يادوبك شاورت لها بايديا، وقولت لها "هاي"، كده من بعيد ومن غير نفس، ولو إنها ما تستاهلش، بس شميت برفان حلو قوي، وأنا معديه من جنبها بصراحة اتفقعت، سبحان الله، "بنت سمرا"، بعد ما كنت بتحط "ريحة كحك" وتبقى مفكرة نفسها ياما هنا ياما هناك، دلوقت بتحط "تشانس" من كريستيان ديور"هههههههه.
- أمال أنا أعمل إيه بقى؟
- بصراحة ربنا يكون في عونك، وأحلى حاجة كنت بحسبها أما تبطل تلبس هدومك القديمة حتشتري من العتبة، لاقيتها بتلبس أحسن من الأول، إيه الحكاية؟
- اتعلمت خلاص، وعدت المرحلة دي من زمان في الأول بابي كان بيوديها المحلات بتاعتي، ودلوقت بيشتري لها من برا كمان، يعني معاها خطوة بخطوة في كل حاجة.

قامت تسنيم واستدارت لتتناول كوب من العصير فرأتها آسيل

- إيه ده يا تسنيم؟ هههه شلت الأنتريه لزقت فيكي واللا إيه؟
- تخنت؟
- بتسألي؟ إنتِ تخنتي جدًا، أنا عايزة أفهم إنتي مش بتشتغلي ليه؟ ما تنزلي مكتب "أونكل يوسف"، وتعرفي كل كبيرة وصغيرة في الشغل بدل ما إنت سايبة كل حاجة لبنت البواب، تتحكم فيها كده؟ ليه بقيتي سلبية كده؟
- مش بحب مجال شغل بابي ولا بفهم فيه

- بلاش يا ستي شغل "أونكل يوسف" اللي محدش طايله، روحي أحسن شركة في مصر واعملي "انترفيوا" مقابلة شخصية، حيقولولك:
- بابا عامل إيه؟ سلمي على بابا! وحيمضوا معاكي العقد في نفس اللحظة وحتمشي،اخرجي يا تسنيم من اللي انتِ فيه دا! حابسة نفسك ليه؟ الدنيا واسعة فيه شباب كتير في الدنيا غير عاصم يتمنوكي، انجحي وكيدي بنت البواب دي، فين تسنيم بتاعة زمان واصراره ومقالبها؟

تتحجر الدموع في عينين تسنيم:

- أنا حاسة إني ميتة، بس ربنا سايبني في الدنيا، بردوامش عارفه ليه، أنا مش عايشة
- ليه؟ استغنيتي عن حياتك ليه؟ وسايبة كل حاجة لبنت سمرا؟ اجمدي شوية واقفى على رجلك.
- مش قادرة!

وهي تجهش بالبكاء:

- مش قادرة! كل حاجة بتضييع مني واحدة واحدة، أنا حاسة إن الحزن عجزني والهم قتلني. بكت آسيل لبكاء تسنيم وأخذتها في أحضانها ورتبت علي كتفيها.

انصرفت آسيل، وانخرطت تسنيم في بكاء متصل، تنتظر الوقت المناسب لتتخلص من حياتها وترتاح من الوجوه التي تكرهها، أو تحبها ولا تبادلها الحب، فكانت تُمسك بأشياء في غرفتها، وتتركها مرة ثانية، بلا هدف، أو سبب، وتدور في الغرفة كالمحبوس بين قضبان، وتجلس وتقوم بأداء حركات عديمة المعنى، فأمسكت بريموت "التلفاز"، ادارته فوجدت موسيقى "ترا تات ترات تراا" هي مقدمة برنامج الشيخ الشعرواي"، فسارعت بتغييرالقناة لاتريد أن تسمع أي وعظ أو نصيحة، واخذت تقلب في محطات التلفاز المختلفة، فهي لا تريد شئ، ولا تبحث عن شئ، ولا يُعجبها شيء، لكنها وجدت يدها ترجعها لنفس القناة التي عليها برنامج "للشيخ الشعراوي" وهو يقول: "تجد الإنسان الذي يُقبل على الإنتحار معندهوش طاقة إيمانية للتغلب على البلاء فإيمانه ضعيف لا يطيق البلاء فيُحاول التخلص من حياته،

لكن تجد الانسان المؤمن يستقبل البلاء ويقول:"خير"،"لعله خير"، ربنا لطيف ينزل البلاء ومعه اللطف، لعله تكفير ذنوب، أو إعداد لما هو أفضل، فابتلاءات الدنيا تحتاج إلى طاقة إيمانية للتغلب عليها".

سمعت تسنيم تلك الكلمات، وطال صمتها وتوالت الدموع في السقوط من عينيها، وكأن تلك الكلمات لمست قلبها من الداخل، وشعرت أن الكلمة "كائن حي"، خاصة إذا صدرت من قلب حي.

ذهبت تسنيم إلى الحمام، وأخذت حمام دافئ وتوضأت، ثم صلت، وأطالت السجود تسأل الله الفرج من تلك الهموم ، وتذكرت والدتها وكيف توفت و"فاضت روحها" إلى بارئها وهي ساجدة لله، لكنها سرعان ما غلبها شيطانها، وتركت صلاتها، ودخلت مرة أخرى في حالة الحزن والكآبة ولكن بشكل أشد، وكل ما نجحت فيه، هو فقط التراجع عن فكرة الإنتحار.

* * *

ذهبت "يوكابد" لـ "يوسف" فجأة، في "الجيم" المختلط، حتى تدعوه للخروج معها، لتناول وجبة الغداء، فوجدته في "الجيم" أثناء الوقوف على "المشاية"، يضحك مع إمرأة جميلة ممشوقة القوام، ترتدي زيها الرياضي، وتتريض على جهاز مجاور له، فاستشاطت غضبًا.

يوكابد ووجها كله يحضر فيه الدم ويجعله وردي اللون:

- مساء الخير يا يوسف
- أهلًا،أهلًا، مساء النور يوكا، إيه المفاجأة الحلوة دي؟
- أدامك كتير؟
- لا خالص! حالا أغير هدومي وأكون جاهز
- مستنياك في العربية
- ليه؟ خليكي هنا دقايق ونخرج سوا
- أوك

مضت الدقائق على يوكابد، وهي تنظر خلسة لجمال المرأة "الأرستقراطية" التي تتسم بالأناقة حتى في زيِّها الرياضي، وتسأل نفسها ما سر هذا الغضب؟ وما هذا الضيق الشديد؟ هل فعلاً تغار على يوسف؟ أم تشعر بالخطر على نفسها من اقتراب أي شخص آخر منه؟ وأنها لابد من أن تستحوذ عليه كاملاً، ليكون لها وحدها دون مشاركة مع أي شخص أيًا كان.

خرج يوسف بعد دقائق قليلة، ولا حظ تغير ملامح يوكابد

- مالك يا حبيبتي
- أبدًا مفيش
- أكيد؟ أنا حاسس إنه فيه! ملامحك كلها متغيرة وباين عليكي جدا.
- بصراحة اتضايقت أما شفت جنبك واحدة جميلة في الجيم
- هههههه، أولًا مفيش أجمل منك في الدنيا دي كلها، ثانيًا ما تبقيش عبيطة، دي سياسة الجيم علشان أي راجل أما يلاقي جنبه واحدة حلوة

قطعت كلامه:

- حلوة؟
- هههه لا لا، قصدي أي "ليدي"، يبدأ يشد حيله في التمرين، علشان ما يبانش أدامها إن نفسه مقطوع، هما بينظموها كده للتحفيز مش أكتر هههه بتغيري عليّ؟
- أيوه طبعا، بغير عليك وانت زي القمر كده! حقي واللا مش حقي؟
- أومال أنا أعمل إيه؟ إذا كنتي أحلى من القمر كمان؟
- بجد
- بجد جدًا جدًا
- يوسف،عايزة أكلمك في موضوع
- اتفضلي
- أنا ملاحظة إنك تعبان من تسنيم
- قوي، قوي يا يوكا، ومش عارف أعمل إيه معاها

- أنا حأريّحك وأقدم، لك الحل على طبق من فضة
- إيه هو الحل؟
- اشتري لها اللي بتحبه وجوزه لها!
- اشتري إيه؟ بتقولي إيه مش فاهم؟
- أيوه، مفيش حل غير كده! عشان هو مش بيحبها
- هو مين ده؟ وهي بتحب واحد مش بيحبها؟ طب ليه؟ ده إيه الهم ده؟
- هو ده اللي حصل
- هو مين ده؟ مين يا ستي؟ اتكلمي
- عاصم
- عاصم جارنا؟
- أيوه
- ده ولد محترم جدًا، وابن ناس محترمة، جيران بقالنا ٣٠ سنة بينا كل خير.
- جوّزه لتسنيم بأي وسيلة
- طب إذا كان الولد مش بيحبها، أو معجب بيها؟ أجوزهو لها إزاي بس؟ وإذا اشتريته زي ما بتقولي وده مستحيل يحصل، إزاي أشتري مشاعره؟ بردو حتعيش تعيسة، دي بنتي وأنا عارفها تركيبتها كده لازم تعيش أزمة، حتى ولو من اختراعها، أنا بفكر أعرضها على طبيب أمراض نفسية.
- بس تكتك كده ومخمخ، حتلاقي لها مخرج، وتنهي كل المشاكل اللي بتمر بيها تسنيم، انت يا يوسف مفيش حاجة صعب عليك.
- تفتكري؟

هزت يوكابد رأسها بمعنى أيوه

- مش سهلة انت أبدًا!
- هههههه

- غمضي عنيكي عشان جايب لك هدية.

أغمضت يوكابد عيناها وقالت :

- أهوه

- فتحي عنيكي

فتحت يوكابد عيناها على أكثر من عشر زجاجات عطر، ومن أفخم أنواع "البرفانات العالمية" (تشانس) من كوكو شانيل، (بويزن جيرل) من كريتسيان ديور، (باريس) من اف سان لوران وغيرها، فلم تصدق نفسها من فرط السعادة، فتلك العطور، التي كانت تفوح من تسنيم، كلما مرت جوارها ولا تعرف اسمها أو طريقها، الآن هي ملكها، صحيح أنها اقتنت عطور رائعة من قبل، لكن يكمن سر السعادة في أن هذه العطور التي كانت تشتم رائحتها ولا تعرف إليها سبيل. علاوة على تذكر يوسف ان يهاديها بدون مناسبة بأشياء تحبها.

* * *

عاصم يعيش في حالة من عدم الاتزان، وتتأرجح مشاعره ما بين الندم، والغضب، والألم والإكتواء بنار الحب، فيشتعل صدره كلما رأي يوكابد، وهي في ثوبها الجديد تزداد تألقًا، وجمالاً، ونجاحًا، فبعد الزواج من "يوسف بك" إزداد الحسن حسنًا وأصبحت "كنجمات هوليود".

أصبح يراها من خلال لوحًا زجاجيًا مختبئًا وراءه في ستائر النافذة الداكنة اللون، حتى لا تلمحه قدرًا وهو يُراقبها، يوميًا في ذهابها وإيابها، ويتتبع خطواتها، متى تخرج منفرده، ومتى تخرج مع "يوسف بك" ومتى تعود معه بعد منتصف الليل، فيظل سهران ليلاً، وقد أظلمت السماء، إلا من عدد من النجوم يشعر إنهم قلة تبدأ في اللمعان حينما تظهر يوكابد، يستمع لموسيقى موتسارت "السيمفونية الأربعون"، حينما يستمع إلى الموسيقى يشعر وكأنه أصبح كالبحيرة الهادئة بعد أن كان بحرًا عالي الأمواج.

يظهر "صوت الحشرات" بوضوح ليلًا، إلى أن تُشرق عليه الشمس، فقد حفظ جدول مواعيدها، عن ظهر قلب، وسيارتها المرسيدس آخر موديل، التي تجيد قيادتها ولا تريد سائق معها.

عاصم يتنفس هواءمكوناته مزيج من العشق، والوله العذري، ويشعر بأن قلبه يحترق كلما رأي يوكابد تمسك بيد يوسف بك (أونكل يوسف) الذي في سن والده ووالدها.

أوار هانم:

- عاصم يا حبيبي حتفضل كده لحد إمتى؟ أنا حاسة بيك، كمل حياتك وكتير حتقابل وتفارق، لسة العمر قدامك
- هو أنا مراهق مثلاً؟ ودي أول حُب في حياتي؟ عشان كده بتسمعيني الكلمتين دول؟ ما كلمتيش بابا ليه؟ لما أنت حاسة بيا كده؟ العنجهية منعتكم من نسب بنت البواب؟ أهو واحد أغني منكم ألف مرة، وعيلته أكبر من عيلتكم مليون مرة، جري عليها اتجوزها، لا همه نسب البواب! ولا كلام الناس! وناقص عليه يجيب لها نجمة من السما، شايفة أونكل يوسف بقى عامل إزاي؟

بيتنطط رايح جاي صغر ٢٠ سنة طاير من السعادة، لكن أنا إبن الباشوات اتحرم من اللي اختارتها، عشان إيه؟ عشان شوية خرافات تراثية في دماغ ناس عايشة في أبراج عاجية مش دايسة على الأرض.

- حرام عليك يا بني مش كده! أبوك من وجهة نظره، إنه عايز مصلحتك، وخايف على مستقبلك الوظيفي، ومع ذلك أنا كلمته، ورفض، وهي أخدت نصيبها خلاص، انساها وفكر في غيرها.
- بالبساطة دي؟ مش بقولك فاكراني مراهق. ماشي حاضر يا ماما.

وظل عاصم يحاول قضاء الوقت المتبقى من عمله في الخروج مع الأصدقاء، والجيم، ويقضي بعض الأوقات على شبكة الانترنيت، تلك الأوقات أخذت في الزيادة تدريجيًا، شيئًا فشيئًا إلى أن اتخذ قرار السفر إلى المغرب.

أوار:

- عاصم إنت رايح المغرب عشان "غزلان"؟
- أيوه رايح أشوفها، ولو عجبتني حاتجوزها
- تتجوزها؟
- إيه في مانع؟
- يا بني أنا بشوفكم تتكلموا مع بعض كتير على النت، ولمحتها حلوة وكل حاجة، بس أبوك عمره ما حيوافق على المغربية! ما البلد مليانة بنات يا بني.
- مالها المغربية؟ طيب يوكابد وبنت بواب والمغربية؟ بنت مسحراتي؟
- يا عاصم لا شفنا البنت، ولا نعرفها، مالهاش يا بني،لكن هو انت بتحبها؟
- لا بس عرفت تشغلني وتملى الفراغ اللي أنا حاسس به.
- عايز نصيحتي؟ بلاش يا بني، هي نفسها تيجي مصر، تشتغل فنانة وتشتهر، مش عشان بتحبك، إلغي السفرية دي وخليكم أصدقاء أحسن، طالما مش حاسس إنك بتحبها.
- يا ماما أحبها إزاي؟ من غير أقابلها أو أشوفها؟ أنا بشوفها "فيديو كول" بس مش كافي بالنسبة لي.
- بلاش يا بني، الاختيار في المرحلة دي بيكون غلط، أما تستقر نفسيًا تقدر تختار بحكمة

بعد مناقشات طويلة، أخذت من الوقت أيام وليال، نجحت أوارهانم في إقصاء فكرة السفر عن عاصم ورضخ لرغبتها طمعًا في إرضائها وخوفًا من غضبها، وتمر الأيام على عاصم ببطء شديد، وبرنامجه اليومي في متابعة يوكابد، لا يتغير قيد أنملة، إلى أن حدث في يوم ما، مقابله مع يوسف بك قدرًا، فدعاه على العشاء وقبل دعوته أملاً في أن يرى يوكابد عن قرب.

* * *

- عاصم يا ابني، إنت إبني، وأنا اللي مربيك، وعارفك كويس جدًا، وعارف والدك حبيبي وعشرة عمرى الطيبة.
- طبعًا ياأونكل
- إنت مرتبط يا عاصم يا حبيبي؟ أنا زي والدك، ياريت تجاوبني بصراحة
- في الحقيقة لا يا أونكل
- طيب مش آن الأوان نفرح بيك بقى؟ ونشيل أولادك؟.
- إنشاء الله
- شوف يا عاصم يا حبيبي، انت ابني، والمثل بيقول أخطب لبنتك، ولا تخطبش لابنك، وأنا مش حلاقي أحسن منك، أئتمنه على بنتي ومالي وأملاكي بعد ما أموت.
- ربنا يدي حضرتك الصحة يا أونكل
- عطيني الحمد لله، لكن الأعمار بيد الله، مش العيّان بس اللي بيموت، خلينا نفكر بواقعية، إنت يا بني من عائلة محترمة، وتسنيم أدام عنيك من صغرها، يعني عارفها، وعارف تربيتها، وأخلاقها، إلا إذا كان لك رأي تاني.

عاصم وقد انتابته سعادة عارمة ملأت قلبه وكل كيانه، لأسباب لا تتعلق بـ "تسنيم" على الإطلاق:

- رأي تاني؟ إزاي بس يا أونكل؟ تسنيم دي ست البنات، دي تاج على راسي، طبعًا يا أونكل ده أنا يسعدني ويشرفني إني ارتبط بتسنيم ودي أمنية وبتتحقق مش عايزة تفكير ولا لحظة.

يوسف وقد غمرته السعادة، لما سمع من عاصم، ذاك الشاب المهذب ذو الخلق الرفيع:

- كده يبقى ناقص نتفق.
- تحت أمر حضرتك يا أونكل.

- طالما إنك وافقت يا عاصم على طلبي، أرجو إنك أدام تسنيم تكون إنت صاحب الطلب، والكلام اللي دار بينا ده يكون سر.
- موافق يا أونكل، بس أنا كمان لي طلب، ونفس الشئ تكون أدام تسنيم، حضرتك صاحب الطلب.
- إنت تؤمر، طلبك مجاب من غير تفكير
- حضرتك، هو طلب بسيط، في الحقيقة أنا متعود على الأجواء العائلية، وعارف إن البيت عند حضرتك، كبيرما شاء الله دورين وفيه ١٣ غرفة فكل اللي أنا عايزه إني أعيش مع حضرتك، باقي حياتي، أكون قريب من حضرتك، أنهل من علم وخبرة حضرتك ونعيش عائلة واحدة في بيت واحد.
- بس كده؟ أحب ما على قلبي، وممكن كمان ننقل للقصر، أو لأي فيلا في الرحاب تكون أكبر.
- المهم إني أعيش أنا وتسنيم مع حضرتك، مكان ما تكون، وده أكثر شئ يسعدني.

تم الاتفاق بين يوسف بك، وبين عاصم، وكلاهما يكاد يطير بجناحيه من فرط السعادة لأسباب مختلفة.

* * *

فاتحت أوار هانم المستشار كمال في موضوع زواج عاصم من تسنيم، كان المستشار كمال في تقديره واحترامه لشخص "يوسف بك" لا يقل عن ابنه عاصم، بل يزيد.

- طبعًا موافق على تسنيم بنت يوسف بك،ونعم النسب، أيوه كده هو ده الاختيار السليم.
- تعرف إني خايفة وقلبي مش مطمن
- ليه انت ماشية دايما بالعكس؟
- قلبي حاسس إنه لابيحبها، ولا معجب بيها، عمري ما حسيت إنه شايفها أساساً
- بس بس بلاش قلق على الفاضي، أمال طلب يتجوزها ليه؟ حد غصبه؟ ياللا خليه يحدد موعد معاهم عشان نروح نطلبها في أقرب وقت.

* * *

يوسف:

- بس يا ستي! هو ده كل اللي حصل بيني وبين عاصم،لكنه أخفى عليها تفصيلة صغيرة، وهي طلب عاصم أن يعيش إلى جواره ما تبقى من عمره، حقيقة، يوسف لا يضع يده على السبب الحقيقي، وراء هذا الطلب، ولا يعرف لماذا أخفاه عن يوكابد؟

وكأنه لا يريد أن يسأل عن أشياء إن تبد له تسؤه.

- يوسف، أنا مش شايفة أي لزوم لشرطك إن "تسنيم" و"عاصم" يعيشوا معانا! إيه السبب؟ ما تسيبهم بحريتهم!
- السبب إني بحب جو العيلة واللمة وعايز أشيل أحفادي وأفرح بيهم.
- لا مش مقتنعة ! لمة إيه؟ وإنت طول يومك مشغول؟ وبتشوفها مرة في الاسبوع! إمتى بنتلم؟ دا احنا بنتفق ونتقابل برا على الغدا في أي مطعم، ما تسيبها تستقل بحياتها،وأما يبقى لك أحفاد إن شاء الله تبقى تجيبلك أحفادك تشيلهم وتمشي تاني على بيتها، مش لازم يوأوأوا حواليك ليل، ونهار عشان تفرح بيهم، خليهم بعيد شوية، حتى يوحشوك!
- انت زعلانة ليه؟ ما تسبيني براحتي ما تناقشنيش في رغبتي.
- طب وراحتي أنا؟ ليه عاصم يعيش معانا؟ إنت كده بتحبس حريتي وحرية بنتك.
- اسمعي يا يوكابد، البيت واسع، وممكن لو جربنا وحسيتي إنك متضايقة من وجودهم، نتنقل من الشقة دي لقصر المنصورية، مع إني مش برتاح فيه لكن، أكيد أوسع من هنا، أنا مشكلتي إني مرتبط بالزمالك وبحبها من أيام المرحوم والدي.
- نتنقل يعني بردوا مع بعض؟ ردك غريب! وعلى فكرة، أنا كمان مش عايزه أمشي من الزمالك لحد ما أموت .
- بعد الشر عليكي يا حبيبتي، ربنا يخليكي ليا يا رب

انتهى الحوار بين يوكابد ويوسف بك، وهو لا يريد أن يبوح بأن عاصم هو صاحب الطلب، ويوكابد لم تستطع حل اللغز، لكنها تشعر بعدم الإرتياح.

* * *

طلب عاصم من يوسف بك تحديد موعد لخطبة تسنيم، الذي كان وقع هذا الخبر عليها كمن دبت فيه الروح بعد أن كاد يموت، وتنسمت عبير الحياة، وفتحت عيناها لترى ضوء النهار، بعد أن كانت عيناها مطفأتين لا يصل إليهما نور الشمس، فهي تنتظر، وتنتظر ما لا يجيء، وفجأة يحدث ما تتمنى، ودون أن يكون عندها ذرة أمل في أن يحدث وبلا تخطيط، ولا أي مجهود منها، ولا تعرف كيف حدث، ربما هي معجزة السماء؟ هل عاصم فعلاً يشعر بها؟ وبدأ يراها بعين مختلفة؟ أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات.

تسنيم تتنفس الصعداء، وتتصالح مع نفسها، ومع الدنيا،ولا تريد أن تسأل عن أي شيء، ولا تريد أن تبحث في أي شيء، سوى أنها ستتزوج ممن تحب بل ممن تعشق، لكن الأهم أن عاصم سيكون يومًا قريب ليس ببعيد، زوج تسنيم يوسف أبو ليلة، وعاصم يشعر أن حياته ستتغير، وينتظر وكله أمل، بعد أن كان دائمًا وأبدًا ينتظر هو الآخر مالا يجيء، وعلى عجلة يتم الخطبة بتقديم عاصم "الخاتم الألماس، على أن يتم الزفاف في غضون أيام قليلة.

تسنيم التي لم تنحنِ أمام العاصفة، تذوب الآن أمام العاطفة، ولا تبحث عن أي شيء ولا تريد أن ترى أكثر مما تراه خشية أن يبدو لها ما يسوءها، ولا تريد أن تفكر، ولا تريد أن تتذكر ما قد يُعكر صفوها، تريد فقط أن ترى عاصم أمام عينيها، وتحت أي ظرف، وبأي كيفية، فكل ما تتمنى من الدنيا هو عاصم، وأن تكون جواره طوال الوقت، فهي تحبه بأقصى درجات التطرف، كما لم تحب إمرأة، فهي مولعة بعشق عاصم، وعاصم كل ما يتمناه من الدنيا هو يوكابد، فيريد أن يراها فقط أمام عينيه طوال الوقت ويكون بجانبها تحت أي ظرف، وبأي كيفية، وفعل كل ذلك من أجلها، فهو يحبها حب أفلاطوني بل يعشقها.

حضر المأذون لعقد قرآن تسنيم على عاصم، سأل المأذون يوسف بك:

- هل العروس موافقة؟

قال يوسف في سره: انت لسة بتسأل الأسئلة دي من الزمن الحجري! طبعا موافقة، هو احنا نقدر؟ المفروض تسألني أنا هل غصبتك علي الموافقة؟

رد يوسف بك: موافقة يا مولانا

تم عقد قران "تسنيم"، و"عاصم"، وتم الزفاف في احتفال أسطوري لم يحدث من قبل، وحضر حفل الزفاف كبار رجال المجتمع، من رجال الأعمال، وكبار الساسة، والفنانين ورؤساء النوادي، وكبار مشاهير "لاعبي كرة القدم"، ولفيف من الشخصيات العامة، وصفوة المجتمع.

كانت "تسنيم" فيه كملكة متوجة، ترتدي أجمل فستان زفاف، ولم يسبق له مثيل، ولا يوجد على سطح الأرض من هي أسعد منها، وعاصم في أوج أناقته، يبتسم ونظراته زائغة، وكأنه مدعو في حفل ليس هو صاحبه. ويريد أن يؤدي واجب المجاملة فيه، ويعود إلى بيته ثانية.

أما يوكابد فقد كانت نجمة الحفل بجمالها الطاغي، وحضورها الأنيق، وفستانها، الذي صمم في أرقى بيوت الأزياء العالمية، فكان وجودها كنسمة ربيع محملة بروائح الورود، مع ابتسامتها الصافية، التي تُطل من قلبها.

انتهى حفل الزفاف، وسافرا العروسان إلى جزر المالديف، وعادا من أجازة شهر العسل ليعيشا مع يوسف و يوكابد في نفس البيت.

تمر الأيام على تسنيم، وعاصم، في رتابة وملل، تظل تسنيم تهرب من أن ترى الحقيقة، ويظل عاصم يرضى بأقل القليل ويعتبره أفضل الحلول المتاحة، لكن ليس هناك فرصة لازدياد عشقه فقد وصل لأقصى درجات العشق.

وذات يوم خرجا سويًا بسيارتهم الفارهة المكيفة بالتأكيد، آخر موديل،وعاصم يظل سارح في عالمه الخاص به، وهو يقود السيارة، وتسنيم تتابع المناظر من حولها كطفلة بريئة في صمت.

فوقعت عيناها على إمرأة بسيطة، تضحك ضحكة رنانة، ويهتز كتفاها من الضحك، وهي جالسة على عربة كارو، وإلى جوارها، زوجها الذي يقود العربة الكارو وهو ينظر إليها، ويتكلم بكلمات لا تسمعها، لكنها تراهما وهما يتبادلان الضحكات والنظرات في سعادة بالغة، وقامت المرأة بوضع طرحتها السوداء على شكل شمسية، فوق رأسها لتقيها من حرارة الشمس. فابتسمت ابتسامة ممزوجة بقليل من الحسرة والألم.

* * *

وفي أحد أركان البيت الملئ بالتحف والأنتيك، غضبت يوكابد جدًا، وصاحت بصوت مرتفع تنهر الخادمة:

- إيه دا؟ مش تحاسبي وانت بتنضفي؟ كدا كسرتي الفازة؟
- جيهان "الخادمة" وهي تمط شفتيها وبنظرة تمرد:
- -معلش ما اخدتش بالي
- نعم؟ ما أخديش بالك؟ تكسري فازة كريستال أصلي وتقولي لي معلش؟

جيهان "الخادمة" تقوم بمط شفتيها الغليظين بأرف، وتنظر بعينيها إلى الجانب المعاكس ليوكابد كتعبير عن الضجر والإمتعاض من إسلوبها وترد بتبجح:

- اعمل إيه يعني؟ اتكسرت غصب عني.
- انتِ قليلة الأدب، ومش متربية، لمي هدومك واطلعي برا

جيهان "الخادمة"، وتنطق جيهان حرف التاء وكأنه "شين":

- لا يا حبيبتشي أنا مش قليلة الأدب، ومتربية احسن تربية، ومش حمشي من هنا غير بأمر من يوسف بك، أنا هنا من قبلك.
- نعم؟! صفعت يوكابد الخادمة المستفزة على وجهها
- إمشي اطلعي برا، ياللا على برا.

سمع يوسف بك صوت يوكابد وصوت الصفعة على وجهه جيهان

- إيه دا؟ في إيه بس يا حبيبتي؟ إيه اللي حصل لده كله؟

- الخدامة اللي مش على بعضها دي، بتقل أدبها علي، وبترد عليّ، بقولها لمي هدومك وامشي من هنا، بتقولي: مش حمشي غير بأمر يوسف بك، أنا هنا قبلك.

نادى يوسف بك وبلهجة حادة:

- جيهان! اتفضلي نفذي كلام الهانم

وأعطاها مبلغ من المال قبل أن تنصرف، خرجت جيهان مطروده تشعر بالذل والمهانة، فهي تحقد على يوكابد، لأنها تشعر أنها من بيئة واحدة، ولا تقبل منها أي توجيه أو تعديل.

- يوكا إهدي من فضلك. أنا طردتها خلاص علشانك، والبنت دي متربية هنا، مولودة هنا، فضلت قاعدة بعد ما والدتها اتوفت، يعني بقالها معانا ١٥ سنة.
- كسرت الفازة الكريستال، بكلمها، مش عاجبها وبتبجح فيا
- في داهية الفازة اللي اتكسرت، وهي طردتها، في ايه تاني؟
- خلاص مفيش
- انت بقى كسرتي بخاطر بنت يتيمة، وضربتيها بالألم على وشها، وده حرام عند ربنا.
- انت ما سمعتش بتكلمني إزاي؟ وبتعوج بقها ومش عاجبها كلامي كمان، مش عايزة تمشي.
- بصي يا يوكا أنا مشيتها خلاص، لكن أنا شايف إنك كنتي بتعامليها بإذلال شوية، عشان كده ردت بالطريقة دي! مش بدافع عنها، لكن عايزك تعاملي الشغالين كويس، بس الشغالات مش زي زمان، بقى في أزمة شغالات، انت متوقعة ترد عليكي إزاي؟ حتقول يا ستي زي الأفلام؟ مفيش الكلام ده. بنت زي دي جاهلة، لا اتعلمت، ولا دخلت مدرسة، ما تعرفش غير تمسح وتنضف بس، طبعا شايفة شغلها ومقيمة إقامة دايمة، ودي ميزة.لأن الشغالات دايما يتحججوا يجيوا يوم وعشرة لأ،وردهم الجاهز " عندي ظروف"، فـإيه رأيك أخليها تعتذر

لك، وتكمل شغلها، عارفينها وعارفة نظامنا هنا وأمينة مش بتمد إيديها على حاجة، وحأخليها تكلمك بأدب، بس إنت يا ريت تعامليها كويس.

* * *

يظل عاصم يتابع يوكابد بكل جوارحه، ويكتفى أن يتنسم نفس الهواء الذي تتنفسه يوكابد، فكان يتتبع كل تحركاتها بعينييه،وكان ذات مساء يُراقبها بنظراته، وجدها تسهر في ظلمة الليل وحدها، تتابع برامج التلفاز، ويوسف يخلد في نوم عميق في غرفته.

وعاصم يعتصره الألم من شدة الحب والاشتياق، الحسرة، والحرمان، وتلك المسافات القريبة البعيدة، وعدم المنطقية في هذه المشاهد والأحوال وكل ما يحدث لكنها أقدار.

تساءل في نفسه:

- إزاي واحد تكون في بيته واحدة زي يوكابد يسيبها وينام؟

وتتابعت الأيام وكل شخص في أرجاء هذا البيت وله عالمه المفترض، يعلمه هو فقط، إلى أن أصيب عاصم ذات يوم بنزلة برد، وارتفعت درجة حرارته فرقد في سريره متعبًا، وتسنيم يرتعد جسدها خوفًا عليه، وتتساقط الدموع من عينيها كحبات الخرز، ولا تستطيع أن تتمالك أعصابها، ولا تعرف كيف تتصرف، فارتبكت من شدة خوفها على عاصم وفجأة هرولت إلى غرفة يوكابد أيقظتها من نومها بشكل هستيري:

- يوكابد..يوكابد

يوكابد وقد استيقظت من نومها مُنزعجة:

- إيه في إيه؟ يا تسنيم يوسف ماله؟
- بابي كويس عاصم اللي تعبان قوي، هاتي سماعتك وتعالى اكشفي عليه.
- حاضر حاضر، اهدي بس

وبالفعل ارتدت يوكابد الروب "الوردي" اللون الشفاف، وغسلت وجهها "بماء الورد"، وذهبت إلى غرفة عاصم، وتسنيم لتقوم بالكشف عليه.

ظهرت يوكابد بمظهر مُربك جدًا لعاصم، وبمجرد أن لمحها، شعر وكأن الشمس أشرقت، ونسى أية آلام، وتسارعت دقات قلبه، وانفرجت أساريره ونظر إلى يوكابد نظرة تفهمها، ولا تريد أن تقرأها، بل تتهرب منها بكل وسيلة.

ووضعت يدها على جبينه، ثم وضعت الترمومتر الرقمي لتقيس درجة حرارته، وهي ممسكه بيده لتقيس النبض، وعاصم يعيش أسعد لحظات حياته بلمسة واحدة من يوكابد، ويكاد قلبه أن ينخلع من مكانه، ويحلق بجناحين في عالم آخر، يريد أن يطيل تلك اللحظات بأي وسيلة، لكن كيف يتسنى له ذلك؟

وسألته يوكابد:

- ها يا عاصم احكي لي؟ حاسس بإيه؟

ويتمنى عاصم أن يبوح بما يختلج صدره ولا يهمه أنه محموم، لكن وما السبيل؟ قطعًا لا يستطيع. فلا يستطيع الرد.

- افتح بقك كده! وريني زورك.

ووضعت قطعة قصيرة خشبية لترى زوره بها. عاصم يفتح فمه، وكأنه منوم مغناطيسيًا، مسلوب الإرادة، ليس له أية سلطة على نفسه، ولا يرمش له جفن، وعيناه كأن يشع منهما نور خفيف من فرط السعادة، يوكابد تشعر به، لكنها تقاومه بالتجاهل وتصنع الغباء، فذهبت لتسنيم وهي تجهش بالبكاء لا إراديًا، ووضعت يدها على كتفها قائلة:

- ما أخبيش عليكي الحالة خطيرة

ترد تسنيم بانفعال شديد:

- إيه؟

ثم تنخرط في البكاء أكثر وأكثر.

يوكابد تهمس في أذنها :

- إحتقان في الزور!مسبب شوية سوخنية بسيطة، ممكن تنزل بكمادات ومن غيرأي أدوية وشوية مشروبات دافية، وليمون وجنزبيل، في إيه؟ حتموتي نفسك ليه؟ شوية برد! تحبي اكتب له على علاج أحسن؟
- أيوه طبعاً! عايزاه يخف النهارده، ويقوم فايق من السخونية دي
- حاضر، عيوني، حقنة أهه إديها له انتِ بقى!
- لالالا مش حقدر ايدي بترتعش اديهاله انتِ
- اتصلي بالصيدلية، حد يجيب الحقنة ويديها له أفضل، التمريض أفضل من الدكاترة في إعطاء الحقن. ياللا! ألف سلامة يا عاصم، سلام يا تسنيم، أروح أكمل نومي ممكن؟

عاصم:

- الف شكر الله يسلمك يا دكتورة

تسنيم:

- اتفضلي.

* * *

هل من المعقول أن تسنيم لا تشعر بالغيرة من يوكابد؟ أم تتغاضي عن هذه المشاعر؟ وتقبل بأي شئ؟ حتى ولو كانت يوكابد سبب لوجود عاصم معها!

فتتصنع الغباء حتى لا تفيق على حقيقة ترفضها، وترضى منه بالقليل، وهو في نظرها كثير، بل يكفى مجرد وجوده في حياتها، فهو عشقها، وحب عمرها.

لا تريد أن تبحث في أي شئ سوى وجوده في حياتها، زوجًا لها حتى إذا كان هيكلا خالي من القلب أجوف المشاعر، ولا تعتبره سوء حظ، بل تعتبره من حسن حظها أن تكمل حياتها جوار من تعشق، ولا تريد أن ترسم في خيالها صورة أفضل من صورة الحياة التي تعيشها، بل تفكر فقط أنه لا توجد حياة بدون عاصم.

الإعتراف

تماثل عاصم للشفاء، مع إنه كان يُفضل أن يظل مريض وتكون يوكابد بجانبه، عن أن يتماثل للشفاء ولا يراها ويشعر أنه مجرد ظل، أوخيال، لإنسان تركته روحه وتعلقت بيوكابد، جلس وحده يستمع إلى موسيقى بيتهوفن (السيمفونية التاسعة)[٢].

وذهب بخياله لتساؤلات تحتاج إلى إجابات شافية.

كيف إنشطرت الذات على نفسها؟

ما بين الجسد والروح؟

مابين السمو والدناءة؟

ما بين الرضا والغضب؟

الحزن والفرح؟

كيف يتغلب الإنسان على نفسه؟ التي ألهمها الله فجورها وتقواها؟

---

[٢] السيمفونية التاسعة هي آخر سيمفونية كاملة للموسيقار الألماني " بيتهوفن"، كتبها بين عاميّ ١٨٢٤،١٨٢٢ ويعتبرها النقاد أعظم أعماله.

كيف يُخالف نفسه ويقتل هواه؟ وهو من أصعب الأمور على الإطلاق.

لكن يظل أكتر شخص عرف معنى الصواب، هو نفسه أكثر شخص قد إقترف الآثام، وإرتكب الأخطاء، ثم ندم على فعله، أوقد يعرف الإنسان حقيقة نفسه، وقد يعيش ويموت دون أن يرى نفسه على حقيقتها.

حدث صراع مخيف بين قلب، وعقل عاصم وكأنها الحرب اشتعلت بين الممكن، والمستحيل، بين الواقع، والمأمول.

هذا الصراع يورث جفاء في النفس، ويأس من المحبوب، يريد عاصم أن يعترف ليوكابد بحبه الدفين لها، لكنه لا يجروء على فعل ذلك، ويريد أن يعترف لتسنيم، أنه لن يستطيع تكملة حياته معها، لكنه لا يجرؤ على ذلك، ويتمنى أن يعترف ليوسف بالحقيقة كاملة، ولماذا قبل هذا الإتفاق"العقد" المجُحف للقلوب وأنه يحب يوكابد قبله، وبقربه منها أصبح يتعذب يوميًا، ما بين شهيق الرغبة وزفير العجز، لكنه يُفضل أن يتحول إلى صخرة على أن يفعل ذلك، يريد أن يكون مع من يحب ، ويندم على كل لحظة قضاها بالقرب من تسنيم، ويخشى أن يزيد ندمه إذ لم يحاول الارتباط بيوكابد حبيبة القلب.

واكتفى فقط بالإعتراف لنفسه -وكأنه اللقاء النهائي لآخر خط بين السماء والأرض- بأنه لم ينج من مُنغصات الحياة، باختياره دور المتفرج فقط، لكنه زاد نفسه رهقًا.

ذهب عاصم وعيناه خاليتان من الرجاء، والأمل، والدموع تتحجر فيهما إلى والدته، التي أخذته في أحضانها، وفهمت اعترافه قبل أن يقوله في صورة كلمات منطوقة.

* * *

تسنيم لا تريد أن تفعل أي شئ في الحياة، سوى أن تنظر لعاصم، وتنتظره، ولا تريد أن تنشغل عنه بأي شئ، وعاصم يشعر بالملل، وبأن مشاعر تسنيم عبء على مشاعره، ويعيش في حالة خاصة مزيج ما بين الخيال والواقع فهو يرى معشوقته أمام

عينيه، ولا يشعر بأي شئ في الدنيا سوى وجودها، وعلى جانب آخر من الحياة، تركض يوكابد وراء الدنيا وتحقيق طموحاتها.

وفي ذات يوم في أرجاء البيت الفسيح، والصمت يملأ أرجاء المكان، استغل عاصم خروج الجميع، ووقف أمام صورة زفاف يوسف ويوكابد، وأخذ ينظر ليوكابد في الصورة وكأنه يتعبد في محراب، لا يشعر بأي شئ، وتعتلي شفتيه ابتسامة وكأنه يتحدث إليها هامسًا:

معقول مش حاسة بيا؟ معقول مشاعري مش بتوصلك؟ ده أنا روحي معاكي، أنا بقيت نص إنسان أعمل لك إيه تاني؟ أنا بيعت حياتي واشتريت وجودي جنبك مش عايز من الدنيا غيرك.

لدرجة أن الدموع تساقطت من عينيه دون أن يشعر، ولم يشعر أيضًا أن تسنيم دخلت ووقفت خلفه عدة دقائق،وانصرفت لغرفتها حزينة بائسة.

وبعد بضع دقائق دخل عاصم غرفته ليجد تسنيم فقال لها:

- انتِ جيتي يا تسنيم؟

تسنيم وهي تبكي:

- لسه يا عاصم! لسه ما جيتش! وانت كمان لسه ما جيتش، إنت مش هنا يا عاصم.. انت مش معانا!
- ايه يا تسنيم في إيه؟
- أبدًا! مفيش، صحيح يا عاصم إنت عمرك ما قلت لي بحبك، هو انت بتحبني يا عاصم؟ واللا بتحبني بس على صفحة الفيس بوك أدام الناس؟ وبكلام عمرك ما قلته لي في الحقيقة
- أمال اتجوزتك ليه؟

وبلهجة حادة وصوت مرتفع:

- أنا مش عايزة أسئلة وأجوبة! مش عايزة استعمال المنطق، أنا محتاجة احس إنك بتحبني.. وإنت عارف ومتأكد إني بحبك، وبحبك من واحنا أطفال صغيرين،

وعمري ما حبيت حد غيرك، ولا فكرت بخيالي حتى في حد غيرك، وحاسس ومتأكد من حبي ليك وعارف إني ما أقدرش أعيش من غيرك، لكن إنت مش عايش معايا! مش شايفني.. للدرجة دي أنا ما اتحبش؟ للدرجة دي بتظن إني غبية؟

- انتِ بتقولي إيه؟ إنت أجمل إنسانة شفتها في حياتي، يمكن أنا بس، مش عارف اعبرك لك عن مشاعري كويس
- كدب! إنت كداب، وما اتجوزتنيش عشان بتحبني، اتجوزتني عشان حاجات تانية في خيالك، سيبني لوحدي واطلع برا
- تسنيم!

قطعت تسنيم نداءه قائلة بلهجة حادة وبانفعال:

- اطلع برا، بطل كدب، كفاية بقى،من فضلك سيبني لوحدي

تركها عاصم، وهو في ضيق شديد، لأنه يشعر بظلمه لها، ولنفسه وكل يوم يمر على تسنيم يُزيد من شعورها بالحزن واليأس، فإزداد نهمها للطعام، وإزداد وزنها، وأصبحت من ذلك النوع الذي إذا جلس دون تنبيه لدقائق قليلة، يغفل ويذهب في نوم عميق وهو جالس، في أي مكان وأي زمان.

* * *

أما يوكابد فيزداد سقف طموحاتها يومًا بعد يوم، وكأنها تحاول أن تعوض سنوات الفقر، والجوع، والحرمان، والتهميش والإهانة، فقد حان الوقت أن تشعر بوجودها، بعد أن مسحت كلمة "بنت البواب"، من القاموس.

ومن ذاكرة كل من حولها، فقد كانت بمثابة الختم الملتصق بها، وأطلقت لأحلامها العنان، فلم تقنع وتكتفِ بما حصلت عليه، بل دائمًا وأبدًا تبحث عن المزيد، وهي كثيرة القراءات، والسفر، والإطلاع، على كل ما هو جديد في العالم، وتنمية الذات والسعي للنجاح بطرق مختلفة.

وفي ذات يوم خرج يوسف، ويوكابد، يترجلان في الشوارع الأثرية، ليستمتعا بجمال التراث الإسلامي في شارع المعز وخان الخليلي، المجاورين "لسيدنا الحسين".

فجاءت سيدة مسنة تسأل الله وقالت ليوسف:

- ادعي حاجة لله يا بيه، بربي في أيتام يا بيه، حاجة لله ربنا يخليلك الهانم

ابتسم لها يوسف بك، ووضع يده في جيبه، على الفور وأخرج ورقة من النقود، دون النظر فيها، ثم أعطاها للسيدة العجوز، فدعت له "بالستر ورضا الله" عنه ثم انصرفت، غضبت يوكابد جدًا من تصرف يوسف .

يوكابد:

- يوسف انت عارف اديتها كام؟

يوسف:

- – لا
- انت اديتها ١٠٠ جنيه، ودي ست متسولة، ونصابة،أنا عايزة أفهم بتربي في أيتام إزاي؟ وهي عندها ٩٠ سنة؟ يعني ما بتخلفش من ٤٠ سنة على الأقل، أيتام ايه اللي بتجري عليهم؟
- هههههه تفتكري يعني إن أنا مش شايفها؟ هي بتسأل الله، مش بتسألني أنا، ومش أنا اللي اديتها، ربنا اللي اداها، ويا ستي إذا كانت شافت مظهرنا، واتعشمت شويتين، يبقى لازم أجبر بخاطرها، وأخلي عشمها في محله وأنا عارف إنها بتكذب بس يكفيها ذل السؤال، والمال كله مال الله
- انت كده بتشجع التسول وفي ناس أحق منها
- أنا لا بشجع التسول ولا حاجة، كل الحكاية إني ما ارضيتش أمشيها مكسورة الخاطر
- تقدر تقولي واحدة في السن ده حتعمل بالفلوس اللي بتجمعها إيه؟ لا بتلبس ولا بتشتري حاجة وأكيد قاعدة هنا طول اليوم.

- وأنا مالي حتعمل بيهم إيه؟ تعمل اللي هي عايزاه، النية خالصة لله، أنا حر في مالي، وهي حرة في مالها.
- إنت غريب يا يوسف
- لازم تتعملي العطاء، خير الناس أنفعهم للناس، لازم يبقى عندك عطاء، ربنا خلق الشمس تنور لنا مش بتنور لنفسها، والنيل مش بيشرب ماءه، والورد مش بيستمتع بشكله ويشم ريحته، لازم النعمة اللي ربنا اديهالي دي، أنفع بيها الناس وأعطيهم مما أعطاني الله، اتعاملي ببساطة شوية، كل الحكاية إني بتعامل بقلبي.
- ما أنت بتتكفل بعمل عمليات جراحية للناس المحتاجة
- يوكا يا حبيبتي، كل اللي اقدر عليه حاعمله، سيبك من الموضوع ده لو سمحتي، تحبي تتغدي فين؟
- عند فرحات بتاع الحمام
- عيني

تناولا وجبة الغداء الحمام المحشي عند فرحات في "سيدنا الحسين" ثم عادا إلي البيت في ساعة متأخرة من الليل.

* * *

يوكابد:

- يوسف حبيبي

يوسف:

- أيوا يا حبيبتي
- كنت عايزة أكلمك في موضوع كدا
- اتفضلي
- انت مش بتفكر تطور من نفسك؟
- أطور من نفسي هههههه! دا اللي عايز يتطور بيجي عندي يطور من نفسه. أعمل ايه أكتر من كده؟ مفيش حاجة تاني تتعمل

- لا في طبعاً حاجات كتير ممكن تتعمل
- زي إيه حضرتك؟ منك نستفيد
- زي إن حضرتك ترشح نفسك في مجلس الشعب
- أنا؟ هههههه عمري ما فكرت فيها
- وليه ما تفكرش فيها؟ وليه ما يبقاش معاك حصانة؟
- أولاً أنا مش فاضي، مهتم بشغلي، ثانيًا حاجيب أصوات منين؟ وأساسًا ماليش في السياسة
- إنت شغلك ممكن يمشي من غيرك، وتشرف من بعيد، دي حاجة، وتاني حاجة انت مش بتساعد الناس المحتاجة؟
- أيوة طبعا لله وفي السر
- طيب وماله، هم دول الناس اللي حيدوك أصواتهم
- هو أنا حاستغل الناس؟ دول ناس بسطاء، ويمكن معظمهم لا يعرفوا يقروا، ولا يكتبوا
- فين الاستغلال؟ انت بتساعدهم،وأما تبقى عضو مجلس شعب، حتخدمهم وتساعدهم أكتر، وبشكل أوسع.
- يوكابد! أنا عايز أسألك على حاجة
- اتفضل يا حبيبي
- بتحبيني؟
- طبعا بحبك، وبموت فيك كمان
- بتحبيني أد إيه؟
- آد الدنيا دي كلها
- ياه! هو أنا تافه عندك للدرجة دي؟
- يوسف أنا ساعات مش بفهم كلامك!

- حيجي عليكي وقت وتفهميه
- على فكرة! أنا لسة ما خلصتش كلامي
- بجد في إيه تاني؟
- فاكر أما ليلى هانم اتوفت؟
- طبعًا فاكر
- فاكر الناس وهم بيجرواعشان يشيلوها لمثواها الأخير، كانوا بيقولوا ايه؟
- كانوا بيقولوا إيه؟
- هات الخشبة، شيل الخشبة، أظبط الخشبة، تمام ياللا بينا!
- يعني إيه؟ مش فاهم حاجة
- يعني أما "ليلى هانم" اتوفت أو أي حد بيموت أول حاجة تتنسى اسمه، مقالوش اسمها قالوا الخشبة وقيس ده على كل الناس، وأنا مش عايزة اسمك يتنسى.
- أعمل إيه أكتر من اللي عملته
- ليه ما تعملش جريدة؟
- لالالا هههههه دا انت زودتيها على الآخر، جريدة إيه هو أنا صحفي؟!
- وأفهم إيه في الموضوع ده؟
- اهدى بس يا حبيبي، إنت حتبقى رئيس مجلس الادارة، وتجيب صحفي ناجح، يبقى هو رئيس التحريروحتدفع له مرتبه كل شهر، وهو يديرها ويجيب صحفيين بمعرفته، وكل اسبوع تكتب لك مقال، ودي حاجة سهلة جدًا حتى لو حد كتبه لك.
- انتِ عرفتي الحاجات دي منين؟ يوكابد انت ناقصك إيه؟ عايزة ايه تاني من الدنيا؟ ربنا ادالك كل حاجة، ليه دائما طالبة المزيد؟
- الحمد لله بس لسة حاجات كتير
- انت عايزة كل حاجة ؟ كل حاجة في الدنيا؟ قوليلي حاجة من الحاجات الكتير

- أولا ناقصني بيبي صغير
- وإيه المانع أنا ما اعترضتش

يوكابد نظرت إليه، وقالت في سرها :

ما اعترضتش، لكن الزمن اعترض، ثم قالت له:

- يعني ما عندكش مانع نروح سوا للدكتور؟ وتجري التحاليل المطلوبة؟
- أنتِ قررتي إني مطلوب مني تحاليل؟ مش تكشفي الأول على نفسك وبعدين نشوف الخطوة اللي بعدها
- أنا كشفت فعلا على نفسي، عند أحد زملائي وأجريت الفحوصات اللازمة،فاضل أنت.
- طيبما إنك مش بتضيعي وقت، أنا بوعدك يا ستى أشوف أي وقت فاضي، واروح للدكتور بتاعي أعمل الفحوصات اللازمة كلها ولا يهمك يا هانم، انت تؤمري
- هو إنت زعلان ليه ؟
- أنا مش زعلان، بس انتِ محسساني إني "الفانوس السحري" أو "خاتم سليمان"
- يعني انت مش حاسس اني بحبك؟
- مش حاكدب عليكي ساعات بحس انك بتحبيني، لكن أوقات بحس إني وسيلة لتحقيق أحلامك مش أكتر.
- وإيه العيب في كدا؟ بحبك وبتحبني، عايزاك تنجح وعايزة انجح معاك
- أنا اتجوزتك وأنا مثال للنجاح، مش لسة حانجح
- لكن ناقصك النجومية، ناقصك انك تؤثر في المجتمع ويردد أفكارك
- يعني إيه الكلام ده؟ ميهمنيش غير مساعدة الناس؟
- يعني إنت ممكن تبث مفاهيم في الناس، وتغير مفاهيمهم وأفكارهم، ممكن تأثر فيهم بعدة أشكال، ودا في حد ذاته مساعدة ليهم أن يفهموا الدنيا أكثر، ويديروا أعمالهم بنجاح زيك، يعني تكون مثل أعلى للجميع.

- إزاي ؟ دا أنا طلعت تلميذ جنب حضرتك
- يعني ممكن تبقى صاحب قناة، ولك صالون ثقافي شهري، أو برنامج تقدمه، وممكن يكون ليّ برنامج طبي، أظهر فيه في نفس القناة ليه لأ؟
- قناة؟ وصالون ثقافي؟ عمري ما فكرت في الأمور دي
- دا الوقت المناسب للتفكير فيها، بعد ما وصلت لأقصى درجات نجاحك.
- تأثر يوسف بكلام يوكابد، وتلك الأفكار، وقرر أن يأخذها في الاعتبار، ويحاول أن يطبق ما يستطيع منها

يوسف:

- بصي ما انكرش إنها أفكار عظيمة، وأوعدك إني أفكر فيها كويس.
- اتفقنا

* * *

وبعد مرور عدة أشهر، سألت يوكابد يوسف عن إجراء الفحوصات الطبية، والتحاليل، اللازمة.

يوكابد:

- يوسف
- أيوة يا حبيبتي
- يوسف انت عملت التحاليل؟ وكشفت زي ما وعدتني؟
- ياه !نسيت أقولك، من زمان يا حبيبتي،اطمني، كله تمام، مفيش أي حاجة تمنع، التحاليل كلها ممتازة، والدكتور طمني وقال لي: نقدر نخلف عشر تواءم هههههه
- بجد يا يوسف
- طبعا يا حبيبتي
- طيب فين التقارير ممكن أقراها؟
- انتِ بتشكي في كلامي؟

- أبدًا، كي يطمئن قلبي
- اطمني وطمني قلبك

انتهى الحوار بين يوسف ويوكابد، لكن يوكابد لم تقنع بإجابات يوسف ولا بعينيه الزائغتين، فقررت الذهاب بدون علمه، لطبيبه المعالج، الدكتور "رشدي حموى"، وبالفعل اتصلت بالمستشفى التي يمتلكها، ويديرها، وأخذت موعدوذهبت إليه بعد أسبوع في الموعد المحدد بالدقيقة والثانية

يوكابد:

- مساء الخير يا دكتور

د.رشدي:

- أهلاً اهلاً يا هانم، مساء النور، اتفضلي
- ميرسي
- إزي يوسف بك؟ وتسنيم هانم؟
- كلهم بخير، لكن في الحقيقة، أنا جيت بدون علم يوسف، اطمئن عليه، قلقانة عليه جدًا، محتاجة حضرتك تتصل به يجي زيارة لحضرتك، فعلًا محتاجة أطمئن على حالته الصحية، عشان هو مش بيسمع كلامي أبدًا في الاهتمام بنفسه
- خير في حاجه؟ في أي حاجة تعباه؟

يوكابد تحاول أن تتحايل ولا تصرح عن ما تريد أن تعرفه، بل تحوم حول ما تريد معرفته:

- أنا بس محتاجة أشوف "الريبورتس" التقارير القديمة من بعد الحادثة عشان أقدر أتابع حالته في البيت وطبعًا تحت اشراف حضرتك،حضرتك أستاذي.
- قوي قوي

ضغط د. رشدي على الزر، حضرت السكرتيرة في أقل من ثانية:

- أفندم يا دكتور
- جاكلين، هات لي فايل يوسف بك

- حاضر يا دكتور

أحضرت جاكلين "فايل" "ملف يوسف بك" المرفق به جميع الأشعة، والتحاليل القديمة وتاريخه المرضي كله، وقف د. رشدي ممسكًا بالأشعة يشرح ليوكابد عليها:

- شوفي الحادثة دي، ربنا نجاه منها بمعجزة، إحنا قمنا بكل اللازم، الكسور دي كانت زي ما انتِ شايفة كدا، كسر مضاعف قبل العملية، والاشعة دي بعد العملية

شوفي، أظن كلها تمام دلوقت! ما فيهاش مشكلة، والمسامير جسمه قبلها والحمد لله، لأن هنا شوفي بعد الجبس، كله التأم وبقى زي الأول تمام، أما الجروح، والكدمات، أنا كنت متابعها كويس جدًا.وشوفي دا كان جرح قطعي بطول الفخذ، والحمد لله ما كانش عميق، فقدرنا نخيط تجميل مالوش أي أثر بعد الكريمات، وهنا ... والحمد لله تمت بنجاح، وجمت يوكابد من المفاجأة وهي أن يوسف يستحيل أن ينجب وهو يعلم ذلك.

والحمد لله وهنا...، استفاض الدكتور رشدي في شرح الحالة قبل وبعد العلاج، وما تم انجازه بعد الحادث الأليم الذي تعرض له يوسف بك،ويوكابد في عالم آخر بعد ما وصلت للمعلومة التي تبحث عنها وهي أن يوسف لن يستطيع الإنجاب على الإطلاق! وهو يعلم ما حدث له في الحادث ويخفي عنها، أي كذب عليها يوسف، رجل البر والتقوى.

أفاقت يوكابد على سؤال د.رشدي:

- أيوه ما عرفتش بردو،يوسف بك مش راضي يجي ليه؟
- نعم؟ أيوة أصله مش فاضي، ياريت يا دكتور ما تقولهوش إني جيت لحضرتك النهارده.
- أمرك يا هانم
- وأنا كده فهمت كل حاجة بالتفصيل، وعرفت حاتعامل مع حالته إزاي
- وهو كذلك

- ميرسي يا دكتور
- شرفتي يا هانم

سلمت يوكابد على الدكتور رشدي، وانصرفت وهي تغلي كمداً، من كذبة يوسف عليها وضياع أملها في الإنجاب،وبالتالي خفض حصتها في الميراث، لكن لعله سبب وجيه للانفصال عنه، لعله خير.

* * *

لم يمر وقت طويل إلاونفذ يوسف كل ما نصحته به يوكابد وكأنه مسلوب الإرادة، لكنه مقتنع بوجاهة أفكارها،أصبحت يوكابد نجمة في المجتمع وصاحبة برنامج طبي شهير،وحدثت نقلة نوعية في الحياة بكل مناحيها.

وحدث أن سافر يوسف بك، إلى سويسرا لحضور "منتدى دافوس الإقتصادي العالمي"، وهذا المنتدى يحضره سنويا، رؤساء دول وحكومات، ووزراء مالية، ومحافظو بنوك مركزية، ورؤساء مجالس إدارة مؤسسات عالمية كبرى، والمشاركون، وهم غالبًا المسئولون السياسيون فى الدول المؤثرة عالميًا، وبعض الممثلين لجماعات المجتمع المدنى، من أحزاب، وغيرهم، من المهتمين بالشأن الإقتصادى العالمى، ووعد يوكابد -التي اعتذرت له عن السفر معه من أجل برنامجها التلفزيوني- بساعة جديدة من سويسرا.

وذات يوم استقبلت "يوكابد" مكالمة من زكوان على الهواء قائلا لها :

- مش حأقولك غير برافو عليكي، شابوه، ثم اغلق الخط

يوكابد تعرف صوته جيدًا، صمتت قليلاً، ثم عادت لتستكمل برنامجها بنداء من المخرج في (الإيربيس)، رجعت يوكابد في هذا اليوم وهي تشعر بالظلام، لتنظر في المرآه وقالت في نفسها:

- هو أنا يوكابد؟ واللا أنا بقيت حد تاني؟ هو أنا سعيدة بعد ده كله؟ واللا لسه ناقصني حاجة؟ عمري ما حيكون عندي طفل من يوسف، ناقصني ابن، يا ترى أقدر اسيب يوسف وأطلب الطلاق؟ بعد كل اللي عمله عشاني؟ أقدر أسيبه

عشان كذب عليّ! ولو عملت كدا أطلع من المولد بلا حمص؟ أدفع شبابي بلا مقابل؟ طب ممكن يموت؟ وتبقى جت من عند ربنا؟ وأنا أبقى ما زعلتهوش في حاجة؟ كل دا ليه؟ عشان مكالمة؟ مكالمة من واحد قليل الأصل؟ اللي رماكي في أول الطريق وفضل عليكِ بنت المستشار؟ وإيه الشجن ده كله؟ انتِ صحيح ما بتحمديش ربنا؟ وعايزة كل حاجة زي ما يوسف بيقول؟ انتِ ليه مش سعيدة؟ بعد السفر والألماظ؟ التليفزيون؟ والعيادة؟ وجمالك بيزيد مع العز اللي انت فيه؟ جمالي مالوش أي معنى ولا قيمة في نظري إلا إذا كان اللي بحبه شايفني جميلة، صحيح المثل اللي بيقول : ما تاخدش بالمظاهر، ياما في كتير مستخبي ومش ظاهر حبك ليوسف عرفان بالجميل مش كده؟ ولسه بتحبي اللي غدر بيكي؟ واللا نفسك تشوفيه بيتألم من حبك؟ وبيندم ويتحسر أما يشوفك؟

الظاهرإنك بتحبي فعلًا، وحب شديد وقوي وصادق، بتحبي نفسك! زي ما عيون اللي حواليكي كلهم بتقول..

تحاول يوكابد أن تنظر لمجوهراتها، وملابسها، وحياتها، وسيارتها وكل ممتلكاتها، لعل ذلك يُثير بداخلها العرفان بالجميل، أو في معاملة يوسف لها بكرم وسخاء وهي لا تمتلك أي شئ سوى جمالها، ومشاعر رد الفعل المصطنعة ، والتي تشعر أنها واجبة ومفروضة عليها أداؤها، لكن هل عطاء يوسف كان بلا مقابل؟ أم عطاء أناني؟ مشروط مسبقًا بالحصول على مكاسب متمثلة في التمتع بشبابها الذي تجاوزه، وتلقى المشاعر والشكر والحب والإعتبار، والدليل على أنه لم يكن عطاء روحي حرغير مثقل بالشروط أنه أخفى عنها أنه لن ينجب أبدًا، تحولت يوكابد إلى كائن خاسر، وتفتت كيانها إلى شظايا مبعثرة، تشعر بالصقيع والضعف أمام تلك الحياة المليئة بهذا النوع من الألغاز والمفارقات التي يصعب عليها حلها.

كانت بمفردها في البيت، تجوب أرجاء البيت الفسيح القديم قدم القيمة والأصالة، والذي يفضله يوسف عن أي قصر، فقد جعل الديكورات على الطراز الاسلامي والأرابيسك بأخشاب الزان والأرو، المنقوشة بحرفية بالغة، ويتوسط الصالون

صورة كبيرة بالحجم الطبيعي للجد الذي كان باشا، تسير يوكابد بقدمين ثقيلتين، وكأنهما عاجزتان عن حملها، وتشعر أن الكرة الأرضية تطبق على أنفاسها، وهي تحتضن جسدها بيديها تشعر بالغربة ولا تدري عن هذه الحيرة والأسئلة الملحة التي تحتاج إلى إجابات.

استمعت إلى موسيقى عمار الشريعي (أرابيسك) مع الإضاءة الخافتة ولا تدري من أدارها،هل هي تأتي من باطن الأرض؟ أم من فوق السقف؟ هل هي صوت قريب أم بعيد؟ تأتي كالهواء من كل مكان، لكنها ليست بهواء،وشعرت بقشعريرة ملأت جسدها، وأثارت تلك الموسيقى في نفسها الشجون، وذرفت الدمع الشفيف.

استدارت على يد تربت بحنو على كتفيها، رفعت عينيها فالتقت عيناها بعيني عاصم:

- عاصم؟

وبصوت يكاد يُسمع فهو غير قادر على الكلام، في تلك اللحظات:

- أيوا عاصم يا يوكابد، عاصم اللي مش قادر يشوفك بتتألمي، أنا عارف ومتأكدإنك تعيسة زي ما أنا تعيس بالضبط،وحاسس بيكي، عاصم اللي ممكن يعيش عمره كله ظل ليكي، ومن غير شكوى ولا ملل،مع إنك مش شايفاه أو مش عايزة تشوفيه، عاصم اللي ممكن يقضي عمره كله خدام تحت رجليكي، أنا واثق إنك حاسة بيا، بس اللي مش واثق منه، إنك تكوني عارفة أنا بحبك أد إيه، يوكابد، أن دايب في الأرض اللي بدوسي عليها برجليكي، أنا بعشقك.

يوكابد تنظر إليه نظرة يائسة، وبصوت مخنوق من شدة الضيق والألم:

- طيب وتسنيم؟
- تسنيم أنا ظلمتها، أنا عارف إني ظلمتها بس دي كانت الطريقة الوحيدة، اللي أقدر اكون جنبك بيها، لكن الطريقة دي جات لي لحد عندي، ما خططش ليها،أنا أساسًا ما طلبتهاش للجواز، ولا عمري فكرت فيها،أما أونكل يوسف عرضها علي، اتحرجت منه ولاقيت إنها فرصة إني أكون جنبك، واشترطت عليه نعيش معاكم في نفس البيت.

- بس تسنيم بتحبك
- وأنا بحبك
- تسنيم مريضة بيك
- وأنا مريض بيكي، هي فعلا محتاجة علاج، وأنا عرضت عليها قبل كدا ورفضت، وقلت لأونكل يوسف الكلام ده، على فكرة أنا حاولت كتير بالرغم إني مش بحبها إني اصطنع لحظات سعيدة، لكن مش عارف إزاي بتقدر تحول كل حاجة حلوة لنكد وكآبة، عندها قدرة غريبة على صناعة الأحزان.
- تعالي يايوكابد نلحق الباقي من عمرنا

وبصوت مخنوق يكاد يخرج من الحلق من شدة الضيق:

- عارف يا عاصم؟ زمان، يوم ما بابا اتطرد من العمارة، ووالدك اتهمه بسرقة مجوهرات الست والدتك أوار هانم!

يومها روحنا فيه بلدنا المنوفية قعدنا ثلاثة أيام بالظبط، وخرجنا بردومطرودين من بيت جدنا،بعد ما عمي استولى على ميراث أبويا وطرده هو وولاده في الشارع، جينا تاني العمارة مكسورين ومذلولين، ساعتها كان والدك اكتشف إن المجوهرات ما اتسرقتش، وإن أوار هانم كانت ناسية بس هي كانت شايلاهم فين،ما هانش عليه يقول لبابا معلش حقك علي أنا ظلمتك، اكتفى بإنه يرجعه شغله.

- أنا عارف إن بابا جامد ومشاعره متحجرة، ما تنتظريش عدل من عبد يا يوكابد، العدل عند الله
- بابا رجع اشتغل بواب تاني وأمي بتساعده، زي أي ست أصيلة بتساعد جوزها، وأنا طفلة منكسرة، ماشية حافية في الشارع، هدومي مقطعة، دايما جعانة، كان ممكن أي حد ينادي على ويغريني بباكو بسكوت، أو أي حاجة حلوة وأروح معاه بلا رقيب، ما أنا بنت "بواب"، بلعب طول اليوم في الشارع، وأهلى ما يتعملش لهم حساب، لو حد زعل من أي حاجة من أي نوع يتراضى بقرشين والموضوع

يعدي، وقتها كنت أنت أكبر مني بكام سنة،مش حانسى اليوم دا أبدًا، ما أعرفش صعبت عليك واللا إيه، أخدتني معاك فوق عندكم، عشان ألعب معاك باللعب بتاعتك، والدك انفعل قوي، وصوته علا وقال لوالدتك:

إيه دا يا هانم؟ إبنك حيلعب مع ولاد البوابين كمان؟ مش شايفة منظر البنت عامل إزاي؟ إديها أي حاجة، ومشيها من هنا وامنعي الولد يعرف الأشكال دي تاني. ساعتها والدتك اديتني حاجة حلوة، وفلوس وقالت لي: روحي حبيبتي دلوقت وعاصم حيبقى ينزل يلعب معاكي وقت تاني.

من وقتها حسيت إني بكره والدك جدًا، لغلظته وقسوته عليّ، وعلى والدي من قبلي، وبكره اليوم الأسود اللي أبويا اشتغل فيه بواب، عيشت عمري كله اتنادى "ببنت البواب"، كأني ماليش اسم، أو اسمي عديم الفائدة، محدش بيناديني بإسمي أبدًا، وعملت كل اللي عملته اللي انت عارفه وشايفه وحاسه، وغيرت جلدي بس عشان أمسح من ذاكرة الناس كلمة "بنت البواب" وما اسمعهاش تاني هههه.

وتبتسم ابتسامة سخرية: كانت تسنيم كل يوم تقولها في التليفون، لأصحابها وتتعمد تخليني اسمعهاوتفكر أي حد حوالينا نسي إني بنت بواب، وما تفوتش أي فرصة ممكن تشتم فيها،على ولاد البواب الجديد وبيئتهم المتدنية، دا غير إنها سجلت اسمي هي وأعوانها على "تروكولير" ببنت البواب، واللي مش عارف من أصدقاء يوسف، كانت لازم تعرفه بأي طريقة، كنت بعمل ده كله عشان ما أبقاش بنت البواب، والنهاردة وبعد "جلدي الجديد"، حسيت كأني بفحت في البحر، عارف يا عاصم، من وقتها وأنا حاسة إن في حاجز بيني وبينك وعمري ما فكرت فيك، وكان أقصى طموحي، إني احب واتحب من ابن بواب زيي، ألاقي نفسي معاه، وأما اتغيرت الظروف، ويوسف طلب ايدي،فكرت في العز اللي حعيش فيه وقلت ليه لأ؟ دي فرصة ما تتعوضتش، وأما اتجوزت يوسف، لاقيته إنسان كويس، وعيشت حياة ما أحلمش بيها، لكن دايمًا في كل حاجة

بحس إن ناقصني حاجة، ساعات ببص للبيت هنا وجماله وبقول لنفسي، لو النجف دا من الفضة، والحيطان مطلية دهب، إزي يكونوا مصدر للسعادة؟ زي ما انت شايفني، تعيسة! وتعيسة جدًا أكتر ما كنت فقيرة، ومش لاقية آكل.

- يوكابد مفيش داعي تجتري الماضي بآلامه، خلينا في النهاردا، يوكا..

وقطع كلام عاصم فجأة صوت غلق باب الشقة

- فيه حد بيفتح الباب، الظاهر إن تسنيم جت برا، من فضلك أخرج بهدوء

خرج عاصم ولم تشعر به تسنيم، ومر الموقف بسلام مؤقت

* * *

زكوان يتابع يوكابد، وهو منبهر مما وصلت إليه، يحدث نفسه:

- معقول يا يوكابد ؟معقول الذكاء ده كله؟ يعني طلعتي أجدع مني كمان؟ أما اتنقلتي نقلتي أهلك معاكي، لكن ما أعرفتش أعمل زيك،مهما تخيلت، ومهما راح تفكيري لبعيد، ما كنتش حاوصل للي انتِ وصلتي له ظنيت في الحقيقة، إنك مش ممكن تسيبي العز دا كله وترجع لي! لا كنت متأكد، ومش عارف إذا شفتك ممكن أحس بإيه؟ مش عارف إذا كنتِ يوكابد اللي حبيتها ولا حد تاني؟

الست أم كلثوم تغني، الزمن بينسي فرح وحزن ياما..

* * *

يشعر زكوان أنه اعتاد على وجود ليا في حياته، لكن دائمًا وأبدًا، هناك مساحة في القلب موجوعة، ومشتاقة لدفء وعشق يوكابد.

المواجهة

يوسف:

- آلوو

عمر بك (شخصية هامة جدًا في البلد):

- إيه يا يوسف، اللي بيحصل دا في القناة بتاعتك؟
- خير يا أفندم؟
- مش خير خالص يا يوسف! إيه الحلقة اللي بتتذاع دلوقت؟ أوقف المهزلة دي حالاً، يا إما القناة بتاعتك دي حتتقفل، انت بتهيج الرأي العام علينا؟ دا وقته؟ الهانم عايزة ولاد البوابين يدخلوا القضاء؟ ما تعمل للبوابين نقابة بالمرة، واضح إنها بارة بوالديها جدًا، ثم أغلق الخط.

* * *

يوسف:

- يوكابد
- أيوا يا يوسف
- إيه الحلقة اللي عملتيها دي؟ أنا عرفت إنك صاحبة الفكرة، تقصدي إيه؟
- عادي بتكلم عن العدالة الإجتماعية
- أي عدالة؟ إنت بقى مهمومة بقضايا المجتمع؟ مش كده؟
- أيوة طبعًا

- فعلاً؟ هو إنتِ عارفة انتِ عملتي إيه؟ وعارفة انتِ عايزة إيه؟ إوعي تفكري إن أنا مش فاهمك
- فيه إيه يا يوسف؟ إنت أول مرة تكلمني بالطريقة دي
- وآخر مرة.. شوفي يا يوكابد! أنا عارف كل حاجة، وفوق ما تتخيلي، عارف إنك جمعتي مستشارين رافضين إن ابن البواب يبقى مستشار، وقدمتي دعوة لابن البواب يحضر الحلقة، رفض دعوتك،وتم فتح الموضوع للنقاش، واستقبال مكالمات ع الهوى، ودا اتسبب في قفل القناة كلها، لإن البلد مش مستحملة تدفع تمن ذكرياتك القديمة، انتِ بقى لا يهمك عدالة، ولا الموضوع يفرق معاكي من أصله، انتِ كنت بتحرجي الولد ابن البواب إللي مش معبرك، وفضل عليكي بنت المستشار.
- يوسف؟
- يوسف إيه؟ اتفضلي، مش دي قائمة المكالمات الصادرة من موبايلك؟ شوفي طلبتيه كام مرة؟ وهو مش بيرد عليكي؟ ومش عايز يكلمك؟ ومؤتمر مكتبة الاسكندرية اللي قلتي رايحة عشان تحضريه، كان عشان خاطر تروحيله، وفعلًا روحتي نيابة المنشية، ورفض يقابلك، تحبي أقولك كمان؟
- إنت بتراقبني يا يوسف؟
- أيوه براقبك، لإني طوال الوقت شاكك فيكي، ومش محسسك بحاجة
- وإيه اللي مسكتك؟
- كنت صابر عليكي، سايبك تجيبي آخرك، أو تراجعي نفسك، عارفة؟

أنا بطلت أندهش من سنين طويلة، أو أستغرب، ودا لأني مريت بأمور كتير قوي في حياتي، تقدري تقولي خبرة السنين خلتني أخدت مناعة، ومتوقع أي شئ ومن أي حد، لذلك أنا مش مندهش من اللي انت بتعمليه ده،منطقي جدًا ومتوافق مع شخصيتك، وبيئتك،طبيعي إنك تجري ورا ابن بواب زيك تمام.

- زكوان متربي معايا وزي اخويا

- هههههه هههههههه لو تلاحظي أنا ما قولتش اسمه! انتِ اللي قولتي، عارفة؟ أنا عمرى ما سألت المرحومة عن مشاعرها تجاهي، لكن كنت دايمًا بسألك تفتكري ليه؟
- ليه؟
- لأن مشاعرها كانت واصلة لي طول الوقت، كانت الدفا والحنان، لكن إنتِساقعة، بتقولي كلام بلسانك وقلبك جامد، عمري ما حسيت إنك بتحبيني، كنت بحس طول الوقت إن عندك واجب بتقضيه زي ما الواجب بيفرض عليّ أعزي شخص أنا مش طايقه، بس لازم أعمل الواجب، خلتيني ماشي وراكي سحباني زي المعمي، كل طلباتك مجابة، وانتِ بتفكري في حد تاني
- انت خبيت عليّ إنك عمرك ما حتخلف تاني
- كنت خايف افقدك، وهو دا مبرر اللي انتِ عملتيه؟ واللا بتحاولي تشوفي شماعة تعلقي عليها أخطاءك؟ يوكابد أنا ما انكرش إنك ذكية، وأكتر من بنات جيلك، لكن استهانتي بخبرتي، ودا اللي خسرك كل حاجة، بصي يا هانم!انتِ فعلًا بقيتي هانم، حقيقة ما أقدرش انكرها في قضايا تحتاج للبتر، ما تتحملش حلول وسطى، وأنا مش حنتقم منك، ولا حأذيكي مع إنك أذتيني، واذتيني جدًا فوق ما تتصوري، لكن ربنا بيحبك إن ذكوان مش بيعبرك وخنتيني بمشاعرك، وده صعب جدًا بردوا لكن أنا حاكتفي بس إني أطلقك، واسيبك تجري ورا ابن البواب بأقصى سرعة، يمكن يحن عليكي ويعبرك.
- أنا كان نفسي أشوف نظرة ندم في عنيه، وأوريه أنا وصلت لإيه، لكن ما كانش في نيتي أخونك ابدًا.
- انت حتسيبي مفاتيح العربية، والعيادة، والمجوهرات هنا، وتلبسي الطقم ده.(ورماه في وجهها)، دي هدوم تسنيم القديمة اللي أخدتك بيها، وما تعتبيش القناة برجليكي تاني، ولا تحاولي في أي قناة تانية، لإن اللي حيشغلك يبقى بيعاديني ودا صعب عليهم.

- كل دا ومش حتنتقم مني؟ أمال لو كنت حتنتقم مني كنت عملت إيه؟ إنت ليه مش مصدقني؟
- صدقتك كتيروا تجوزتك، وحققت لك اللي عمرك ما تحلمي به، دا انتِ ما كنتيش عارفة أما تحلمي تطمحي في إيه!

علمتك تحلمي إزاي! وحلمك يبقى حقيقة، الحلقة بتاعة امبارح في برنامج (يوكا شو) قفلت القناة، وخربت بيتك، وخسرتك "ابن البواب" في ضربة واحدة، لكن حققتي مكاسب كتيرتانية، بقى معاكي شهاداتك، واللي اتعلمتيه في السنين اللي فاتت وخبرة وثقافة السفر للدول المختلفة اللي سافرتيها ودا كفاية عليكي وكتير قوي كمان، خدي شهاداتك معاكي، وأما تنزلي تحت السلم في أوضة البواب، حتلاقي أهلك مستنينك تحت!

يوكابد تبكي بحرقة:

- يوسف أنا آسفة
- بجد؟ هههههه آسفة؟

دبحتيني بسكينة باردة وجاية دلوقت تقولي آسفة؟ وبكل براءة؟ فعلاً أثبتي إنك بريئة، زي ما بتظهري بالظبط، أخدتيني سلم عشان تطلعي عليه، وبعد ما تطلعي تحطميه؟ وتقولي آسفة بكل بساطة؟

أخذ يوسف يشير إلى صدره بانفعال وكأنه يضرب نفسه قائلاً:

- دا أنا كنت بتعاير بيكي، والناس تلسن علي، وأتحديت الكل حتى بنتي علشانك، لكن فكرتيني بعد العز اللي بقيتي فيه، والنقلة اللي حصلتلك في حياتك، بواحد سألوه نفسك في إيه إحلم واتمنى؟ رد قالهم: نفسي في طبق فول بالزيت الحار، ذوقك كدا! مستواكي كدا! ما اقدرش ألومك،ف علاً الغلط مش عندك، أكيد الغلط مني أنا، اخرجي يا يوكابد، روحي يا مامي، روحي شوفي حياتك! مع ابن بواب؟ مع ابن زبال ؟ مع اللي قلبك يختاره، انت عاملة زي الضفدعة اللي قعدوها على كرسي دهب سابته ونطت في المستنقع تاني اللي هي جاية منه.

الطيور على أشكالها تقع، انتِ اتعودتي على الكذب والنفاق والخداع وأنا خلاص خرجتك من حياتي، ما انكرش إن ده حصل بصعوبة عليّ، لكن لازم أقول الحمد لله.

لم تستطع يوكابد أن ترد، أو تدافع عن نفسها، لأن حقيقة الأمر أن كل ما يشغلها الآن ويسيطر على تفكيرها أنها ستفقد كل شئ،كيف سيكون شكل حياتها المستقبلية بعد أن اعتادت الرفاهية؟

نزلت يوكابد، وهي تجمع شتات نفسها المبعثرة إلى غرفة البواب، تعود إلى أدراجها لتجد أهلها في انتظارها فاجهشت بالبكاء، شعرت وكأنها قذفت في بحر متلاطم الأمواج، بغير شاطئ وبغير قاع.

وقابلت يوكابد والدتها وارتمت في أحضانها قائلة:

- ماما، أنا مش ممكن أعيش هنا تاني، مستحيل، ولا أنتم كمان يا ماما.
- هنروح فين يا بنتي؟ مالناش مكان يؤوينا غير هنا، أنا عارفة بس كان إيه اللي حصل لده كله؟ ما كنتِ عايشة مستورة يا بنتي
- نصيب يا ماما
- نصيب؟وكان نصيبك في الطيب وكنتي عايشة زي الفل يابنتي

كنا صيغيرين زمان يحكو لنا حدوتة بيقولوا فيها كان في راجل عنده فرخة، كل يوم تبيض له بيضة ذهب تكفيه عوز الدهر كله،وفي يوم فكر الراجل يفتح بطن الفرخة، عشان ياخد كل البيض الذهب اللي في جوه بطنها مرة واحدة، فتح بطنها مالاقاش حاجة، خسر الفرخة وخسر بيضة كل يوم، يعني خسر كل حاجة بطمعه، الطمع يا بنتي يقل ما جمع.

سمعت يوكابد القصة ولم تعها ولم تبال بها.

- ماما! تعالوا نشوف أي مكان تاني، قانون جديد وأنا حشتغل في أي مستشفى وأدفع الإيجار.

وبالفعل انتقلت عائلة يوكابد كلها، إلى شقة في منطقة فيصل بالهرم، وبسعر معقول.

* * *

مرت أيام قليلة ويوكابد تخفي حزنها على ما فقدته، وتبكي على وسادتها ليلًا بصوت مكتوم، لكنها قررت أن تواجه زكوان بأي وسيلة وبالفعل سافرت إلى الإسكندرية، واقتحمت مكتبه، أثناء دخول الحارس إلى الحمام ودخلت عليه مساءً

- إزيك يا زكي بك
- أهلاً يوكابد هانم
- بتتهرب مني ليه؟
- مش بتهرب ولا حاجة، أنا بس مشغول شوية
- مشغول؟ هههههه

ضحت يوكابد ضحكة سخرية واستهزاء قائلة له:

- لا إنت مش مشغول ولا حاجة !كل الحكاية، إن إنت مش عايزني أشوفك بعد ما غيرت جلدك، وبقيت واحد تاني
- وانتِ كمان غيرتي جلدك وبقيتي حد تاني، يعني احنا الاتنين زي بعض، محدش أحسن من حد، نفس اللي عملته انت عملتيه، بس كمان يمكن إنت تفوقتي عليّ في حاجات كتير، لكن النتيجة واحدة، إنك بقيتي حد تاني بجلد جديد.
- إنت اللي بدأت، إنت الأستاذ، المعلم، ومنك أنا اتعلمت.
- عارفة يا يوكا؟ كان نفسي أبقى أنا بس اللي وحش، وأبقى أنا بس اللي غيرت جلدي، ويوم ما أرجع لنفسي ألاقيكي زي ما أنتِ، وارتمي في حضنك.

ومع ابتسامة منه بطعم المرارة

- لكن لاقيتك سبقتيني بخطوة في كل شيء، ما بقاش فاضل منك أي حاجة! مش باقي منك غير شكلك، والباقي كله اتغير، ساعات كتير بفتكر أما كنت بقولك بصي للسما عشان القمر يشوفك ينور، تخيلي إني بحس بقربك مني في خيالي، أكثر من الحقيقة؟ بقيتي غريبة عني! حاسس بغربة وأناشايفك قدامي، وأنا معاكي دلوقت في الحقيقة، دا أنا كنت بحس بيكي في الحلم، واقوم في منتهى السعادة.

وتنظر إليه يوكابد في صمت مؤسف، ثم يكمل كلامه وهو ينظر إليها:

- بس كانت أمي بتحكي لي حكاية حصلت في بلدنا، عن واحد كان فقير بيبيع كرات الزبدة التي تصنعها زوجته لبقال القرية، ويصرف ثمنها على قوت أطفاله، وفي مرة شك البقال في الميزان، فوزن كرات الزبدة، وجدها لا تتعدى الـ ٩٠٠ جرام، فغضب بشدة، وانتظر حضور الفقير في صباح اليوم التالي:
- أتغشني بعد ما استأمنتك أيها الغدار؟

وحينما صاح في وجهه نكس الفقير رأسه، وقال بصوت مخنوق:

- نحن يا سيدي لا نملك المال لشراء الميزان، فاشتريت منك من سنة، كيلو سكر، وجعلناه مثقالاً للزبدة.قالت لي: زبدة الحكاية يا وليدي، تأكد أن مكيالك سيكال لك به، إن لم يكن اليوم، فذات يوم.وهو دا اللي بيحصل معانا إحنا الاثنين.
- إنت اللي غربتنا يا زكوان، إنت اللي بدأت، إنت اللي بيعت وغدرت وهجرت، قضيت سنين منتظرة منك كلمة تدفيني وأنا عايشة حياة أبرد من التلج، وانت قلبك حجر، وفي الآخر لسة بتلومني؟

أنا كنت بمشي واحس بنظرات الناس في كل مكان، وانبهارهم بجمالي، وغيرة تسنيم وغيرها المستمرة من شكلي، كانت عندي المعلومة من ردود فعل الناس حواليا، لكن عمري ماحسيت بسعادة أو قيمة لجمالي، عارف ليه؟

- ليه؟
- عشان مالوش معنى ولا قيمة بالنسبة ليّ إلا إذا حسيت به في عيونك إنت بس، في عيون الإنسان اللي حبيته بس.

وتتبسم ساخرة ابتسامة تقطر ألم ومرارة، لكن إللي بحبه لا شايفني ولا شايف جمالي، ولا حاسس بأي شئ في الدنيا غير نفسه.

- مش هالومك، يمكن يكون عندك حق، بصراحة يا يوكا احنا بقينا اتنين تانيين، اتنين تايهين من نفسنا،كان نفسي أما أتوه، ألاقيكي إنتِ عنواني، لكن للأسف! أنا ما انكرش إني غلطان في حقك، وفي حق نفسي، بس من حقي أعيش، مش

ذنبي إني ابن بواب، مش ذنبي إني فقير، بفتكر يوم ما أمي كانت بتعمل لنا جناح فراخ على الغدا، كان بيبقى يوم عيد، وممكن أعزم صحابي كمان، اتكتب علي ألبس الهدوم القديمة، وامسح السلالم، وأجري اشتري الطلبات، ولازم أبص في الأرض، وتبقى عيني مكسورة، ما أرفعش راسي أبدًا عشان أنا فقير، ما أبصش لفوق،لازم أبص لدوسة رجلي على الأرض،وأنا دايس عليّ كل اللي فوقيها، عارفة؟

ساعات كنت بتمنى أكون اتولدت مثلاً في البحر، زي قبائل (الباجاو الاندونيسية) أعيش في قارب في البحر، مفيش فرق بينهم كلهم سواسية، زي بعض، لارئيس ولا مرؤوس،لا غني ولا فقير، لا طبقة راقية ولا طبقة دنيا، حياتهم لا تعرف الطبقية ولا انظمة الحكم،لا يتقاتلون ولا يتنازعون وليس لديهم ما يقاتلون من أجله، بيعيشوا ويتجوزا ويخلفوا، ويموتوا كمان في البحر، ما يعرفوش غيرالمياه، مبيتعلموش إلا الصيد ومبيصادقوش إلا الأسماك ويعيشوا حياة مسالمة، يوكابد، احنا دلوقت اتنين ما نعرفش بعض!

زكوان بيعشق يوكابد دا صحيح، يوكابد بتحب زكوان دي حقيقة، لكن دلوقت لا أنا زكوان، ولا إنت يوكابد، احنا اتنين تانيين بجلد جديد.

* * *

بمجرد أن تركت يوكابد بيت يوسف، تركه عاصم، دون أدنى تفكير، أو أي مقدمات، الأمر الذي جعل تسنيم تشعر بالقهر والإهانة وقررت ألا تلاحق عاصم، الذي تركها بجسده هذه المرة، وهو الذي قد سبق وأن تركها مرارًا وتكرارًا بروحه منذ زواجهما فساءت حالتها جدًا، لأن عاصم لا يعني لها مجرد زوج، أو رجل تبحث عن غيره، بل يعني لها الحياة، ورفضه لها، لا يعني رفض رجل لإمرأة، بل رفض العالم كله لها، بما فيه وعليه، فهو معشوقها، وهو الرجل الوحيد في عينها، فما تشعر به الآن أن الأرض عبارة عن كرة مظلمة ينبعث منها صقيع الجليد.

أما يوكابد، فكرت أن تلجأ إلى عاصم، فهو رهن إشارة منها، وهو المخرج الوحيد لها من الأزمة التي تمر بها، فسينجدها من تلك الحياة، التي أصبحت صعبة جدًا عليها بعد حياة العز والرفاهية، فهي دائمًا تركض وراء مصالحها بلا قلب،وكأن هذه المضغة جزء منها وقد ماتت قسرًا.

عاصم الشخص الوحيد الذي ممكن أن يعيش معها،في مستوى أقرب ما يكون -لكن بالتأكيد أقل- لحياتها السابقة مع يوسف، وبالفعل استجاب عاصم بكل سعادة، وبلا أدنى رغبة في التفكير لرغبة يوكابد، يوكابد حب العمر كله،وعشق الروح التائهة بحثًا عنها.عزم عاصم على ألا يثنيه أي شئ عن الإرتباط بيوكابد،مهما كان وكيف كان،فلن يسمح لأي إنسان أن يسلبه سعادته، ويسرق فرحته، فقلبه يخفق من الحب والسعادة، فهو على موعد مع العمر الجديد، الذي سيضاف إلى عمره الماضي الغير محسوب، فهو على موعد مع الحياة.

* * *

المستشار كمال:

- شوفي يا أوار، موضوع بنت البواب دا، إذا كنت رفضته زمان قيراط، أنا برفضه النهاردة ٢٤ قيراط.
- هو شايف سعادته معاها
- يعني ايه؟ هي بنت البواب دي هي سعادته؟ دي بنت بلا أخلاق، ولا مبدأ، بنت وصولية، اتجوزت راجل أكبر من أبوها، وحققت كل أحلامها، وفي الآخرعايزة تتجوز جوز بنته؟ دي أصول يا هانم؟ما تردي؟ دي الأصول اللي اتربيتي عليها؟
- ابنك يحبها
- أنا لا يمكن أوافق على المهزلة دي! أوري وشي للراجل المحترم عشرة عمري دا ازاي؟ إسمعي، قولي لابنك إذا كانش يرجع عن الجوازة دي، أنا هروح أموتها قدام عينه
- إنت اتجننت يا كمال، ايه اللي بتقوله دا؟

- زي ما بقولك كدا،انتِ عارفة إني ممكن أعملها.
- أنا حاحاول معاه، وإن رفض لازم أكون جنب ابني، اللي هو شايف سعادته فيه يعمله، وأنا مش حاتخلى عنه، مش حاتفرج عليه وهو تعيس وتايه طول الوقت عشان التقاليد، هو بيحبها من قبل جوازها من يوسف.
- وهي مش بتحبه يا غبية انت وابنك، ولا كانت بتحب يوسف، ولا بتحب حد غير مصلحتها.

* * *

حينما علم يوسف أن عاصم سيتزوج بيوكابد، بمجرد أن تنتهي شهور العدة، لم يستبعد أبدًا وجود علاقة سابقة بينهما.

واستشاط غضبًا، لكن لم يظهره، ظل جالسًا منفردًا يستمع إلى الست أم كلثوم في أورع ما غنت، رباعيات الخيام، إلى أن بللت دموعه خدوده، فما هذه الدنيا الدنيئة؟ التي تدور أحداثها عكس كل التوقعات؟ وتدعو من يتمسك بها إلى الخبل!

حقًا دُنيا وليست عُليا، فبعد مرور قطار الحياة والتقدم في العمر، يزهد الإنسان في هذه الدنيا الرخيصة، ويعرف أن الإحسان بئر عميق لا يعرف له قرار، ومعنى له أبعاد تجسده، فمتى يكون الانسان من المحسنين؟ ولماذا يندم على ما أعطى؟

هناك أسئلة كثيرة تحتاج إجابتها لمزيد من الحكمة، شيئًا فشيئًا مع بلوغ الحكمة، والفهم العميق بالقدر الذي يري الانسان فيه الدنيا على حقيقتها، أخذ يوسف يمضي لياليه في ابتهالات هادئ النفس، مبتسم سخرية ورضا، غافرًا يطلب المغفرة، مسلمًا أمره إلى الله، مؤجلًا الحساب ليوم الحساب بين يدي المنتقم الجبار الرحيم الرحمن.

* * *

أرسل عاصم لتسنيم بورقة طلاقها، وتجنب أي لقاء بها أو بيوسف، فقط كل ما يفكر فيه هو يوكابد، حيث أنه أخيرا تحدد موعد حفل الزفاف، يوم زواج العاشق عاصم من يوكابد، معشوقة الروح وحبيبة القلب، وأثناء حفل العرس، كان عاصم يطير بجناحين من فرط سعادته، ولا يشعر بأي شئ في الدنيا سوى عشق روحه، فاليوم

موعد تمدد العمر، ليصبح آلاف الأعوام، اليوم موعد تعويض وجع السنين، وأشجان القلب الملهوف، الذي انهكته جمرات الحرمان والاشتياق، اليوم موعد مصالحة تاريخية مع الحياة، اليوم موعد وأد كل الأحزان،تم عقد القرآن،وقلب عاصم يرتعش فلأول مرة سيلمس يوكابد، يحتضن يوكابد بعينيه قبل يديه، وكأنها مخلوق، فريد ليست كباقي النساء، من ماء وطين، ليست إمرأة عادية، ولكن قد تكون حورية وسقطت على الأرض، قد تكون قطعة من السماء أو مخلوق شفاف من حب وحنين،هكذا يراها العاشق.

ويرقص العروسان رقصة هادئة،على أنغام أغنية مدحت صالح " تعالي نسرق لحظة حلوة تتحول لذكرى نحب بعض، وسط عالم كله عمال يكرهه، مين فينا بيطمن لقدره واللا ضامن بكره ... هو يوم في العمر"

ويبدو أنه بالفعل كان آخر يوم في عمر يوكابد،

فجأة انطلقت طلقة نافذة إلى رأس يوكابد ، سقطت على إثرها في الحال غارقة في دمائها، وعاصم يحاول حملها من على الأرض، في حالة ذهول، وينادي على معشوقته بهستيريا

- يوكابد؟

ويهزها هزًا عنيفًا

- قومي !يوكابد؟ يوكابد؟

ويهرول الجميع لإنقاذ العروس، وساد الحفل هرج، ومرج، لكن هيهات!

يوكابد لا ترد، ويحاول الجميع إنقاذ حياتها،وحقيقة الأمر أن عاصم هو الشخص الوحيد، الذي في حاجة إلى الإنقاذ، قبل أن يُصاب بالجنون إثر هذه الصدمة، ومن هول المفاجأة.

وقفت أوار هانم (والدة عاصم) في ذهول تحدث نفسها:

- بقى كدا يا كمال تقتل فرحة ابنك وتعمل فيه كدا؟

واتصلت بزوجها المستشار كمال وقالت بصوت مخنوق:

- ألو
- نعم؟ بترقصي واللا ماسكة الشمع؟

أوار هانم وهي تبكي بحرقة:

- كدا بردو يا كمال؟ يهون عليك ابنك؟ تقتل فرحته؟ ابنك هيروح فيها يا كمال
- ابني ماله يا أوار؟
- يعني مش عارف؟ نفذت تهديدك؟
- تهديد إيه؟ بتتكلمي عن إيه؟ ابني ماله اتكلمي!
- يعني مش انت؟ فيه حد ضرب يوكابد بالرصاص.
- إنتي اتجننتي؟ أنا أقتل؟دا كان مجرد تهديد، كلام يعني، المهم فين عاصم؟ عاصم كويس؟
- تعالى بسرعة نلحق ابننا يا كمال، قبل ما يجرى له حاجة،

عاصم بيحاول يصحيها ومش عايز يسيبها وهي شكلها ماتت خلاص

- لا حول ولا قوة إلا بالله، طيب أنا جاي حالاً

* * *

وبعد تفريغ الكاميرات في الفندق والاستجوابات، تم اكتشاف مرتكب الواقعة، وكانت مفاجأة مذهلة للجميع، إنها تسنيم.

تم القبض عليها وهي في حالة هيستيرية من البكاء، وجسدها كله يرتعد.

وكيل النائب العام يستجوب تسنيم:

- ما هي أقوالك في التهمة المنسوبة إليكِ بمحاولة قتل المجني عليها "يوكابد أبو شنب"؟

تجيب تسنيم بكل إصرار:

- أيوا قتلتها.
- لماذا قمت بمحاولة قتل المجني عليها؟ وما هو الدافع لقتلك المجني عليها؟

- مجني عليها؟ أنا المجني عليها؟ أخدت مني كل حاجة!

بابي اللي فاضلي من الدنيا، والشخص الوحيد اللي حبيته في حياتي كلها، ومكاني في البيت، وكانت هتشاركني في ميراثي وفلوسي وهدومي وحياتي، ناقص إيه تاني؟! وتصرخ قائلة:

أديها إيه تاني؟ ما سابتليش حاجة أعيش بيها،عايزة تاخد كل حاجة من الدنيا لنفسها، نصيبها ونصيب غيرها كمان،كان لازم تموت! عشان غيرها يعيش بقى، عايز تعرف إيه تاني؟ قتلتها بمسدس بابي، وهي بتتجوز جوزيبعد ما قتلتني وعيشتني ميتة سنين طويلة، يعني أنا قتلت واتقتلت! خلاص؟ خالصين! فيه حاجة تاني؟ ياللا اشنقوني! اعدموني! هههه ما أنا أصلاً ميتة

- انتِ ربنا بيحبك إنها ما ماتتش، هي احتمال تفوق لإنها كانت تحت الملاحظة ٢٤ ساعة بعد إجراء عملية في المخ، وهناخد أقوالها.

ردت تسنيم بصراخ هستيري:

- نعم؟ ما ماتتش؟ وماماتتش ليه؟ هي النوعية دي مابيموتوش ليه؟ بيفضلوا عايشين كدا علطول؟ أنا اديتها طلقة في مخها، تقدر تقول لي ما ماتتش ليه؟ هما دول ما بيموتوش أبدًا؟ عايزة تموتني أنا الأول؟

خلاص أنتحر أنا وأموت، وتفضل هي عايشة وتتفرع زي الشجرة وتولد من نوعها ألف شجرة يقتلوا غيرهم ويتغذوا على جثثهم ويعيشوا ويكترواوالباقي يموت وانا أكمل موت.

ثم حضر اثنان من مستشفى الأمراض النفسية، والعصبية لإيداع تسنيم في مصحة نفسية لتخضع للعلاج النفسي والعصبي.

* * *

حدث تفجير ذات يوم واحترق وجه زكي، وبكت ليّا كثيراً، لكنها إعترفت لوالدها أنه بالرغم من حُبها لذكي، إلا أنها لن تستطيع أن تتزوجه بهذا الشكل الجديد الذي

إختلف كثيراً عن شكله الذي أحبته عليه، وإنها ستمتنع عن زيارته تدريجيا، إلى أن يُصارحه والدها برغبتها في الإنفصال عنه وفسخ الخطبة.

ينام ذكوان على سرير في مستشفى، ما بين النوم واليقظة، فحينما يفيق لا يريد أن يفيق، وحينما يغيب يريد أن يفيق على واقع آخر، لكنه يحدث نفسه داخليًا وكأنه شخصين:

- أحيانًا وأنت في مشوار حياتك، قد تفقد شعورك ببعض الأشخاص البلداء عديمي التفاعل في مواقف الحياة، تحسهم وكأنهم أموات، يأكلون، ويشربون، وينامون، لا تحبهم، ولا تكرههم، لكن يصبحون أشخاص عاديين، يملأون حيز مادي فقط من الفراغ يمكن ملؤه بغيرهم ممن هم أكثر مصدر للأحاسيس والمشاعر الحقيقية الحية.

وأناس آخرون تجد نفسك تحبهم، ولكن كي تحتفظ بهم لابد وأن تبتعد عنهم بمسافة، تسمح لك بالإحتفاظ بهم، فلا تقترب منهم جدًا فتحترق، ولا تبتعد عنهم جدًا فتنزلق، ولكن تحافظ على المسافة المقدرة بينك وبينهم، فلو اقتربت الشمس منا ميلاً واحداً فقط عن المسافة المقدرة لها لاحترقت الأرض، ولو ابتعدت عنا ميلا لتجمد كل ما حولنا، معظم المحن في حياتنا، أو كلها تقريبًا، سواء كانت بسبب أخطاء إرتكبناها، أو أوقعنا فيها آخرون، تُعطينا دروسًا عملية، وتُرينا حقيقتنا دون زيف، أو رتوش تجميل، وإن كانت تهرب منّا الكلمات أحيانًا، وتُراوغنا للإفلات من التعبير عن ما نشعر به حقيقة، ولكن ما أشعر به الآن، أنني ظالم ومظلوم،صادق وكاذب، أنا مشوه مثل مجتمعي، أحمل كل المتناقضات مثله تمامًا بكذبي، ومحاولة تغيير جلدى، والهروب والتنصل من كل شئ يربطني بجذوري وحقيقتي، أصبحت في القاع، نعم انحدرت في قاع المجتمع، بكل ما يترسب فيه من قاذورات، فلم يعد لدي ما أخسره، ودائمًا وأبدًا، مثلي من هم في القاع لا يخشون السقوط.

مع إبتسامة داخلية ساخرة لا يستطيع معها تحريك شفتاه:

- عليّ الآن أن أُخبئ هذا الوجه القبيح في الظلام.

وكأن صوت مسموع يحدثه:

- الماس، ما هو إلا فحم مضغوط، فالإنسان القوي الثابت على مبدأه، عليه أن يعتبر من الماس، فكلما اشتدت عليه الضغوط يريد الله أن يُطهره من الشوائب، ومادام الله يرسل له يسير البلاء، فهو في العناية الإلهية،ولايفقد الأمل في الله، فالمريض المرجو شفاؤه عليه إتباع التعليمات، أما المريض الميؤس من شفائه يقول له الطبيب تناول كل شئ، لأنه لا رجاء في شفائه، فلن أقطع الأمل في الله، وشفائي مهما حدث،أنا بشر، تجري عليّ سنة الله في خلقه من الصواب والخطأ، والنقصان والشعور به، فهذا الذي يجلس على مكتب ضخم ليعوض نقصان جسده، وذاته، يكتفى بنثر تعليماته بالإشارة،وهذا الذى لم تتغير ملامحه منذ الصغر، ورائحة الكراهية التي تفوح من جسده، وهذا المتكبر الذي يتباهي بأمواله وأولاده، وهؤلاء الناعمين مُصطنعي البراءة وحسن النية، تجدهم في لدغاتهم، أصعب من لدغات الحية، وهؤلاء اليائسين الذين تفوح منهم رائحة العفن، وهؤلاء الحاقدين الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، كلهم نوعيات من البشر لا تبدو علي حقيقتها، بل تظهر مرتدية جلد آخر، غير جلدها، فأين جلدي الحقيقي؟ أأحترق؟ أم إهترأ؟ أريد جلدي على طبيعته.

اجتمع الأطباء على ضرورة إجراء عملية جراحة تجميل، ووضع جلد صناعي لزكي، ليعود شكله كما كان، أو لأقرب شكل إلى شكله الحقيقي.

وبالفعل تمت إجراء عملية جراحية، وتركيب "جلد صناعي"، ليعود زكي لأقرب شكل لشكله الطبيعي، لكن إذا كان هذا الجلد الجديد، يعالج الشكل الخارجي، فمن سُيجري عملية إعادة الجوهر الداخلي؟ الذي تنصل منه زكوان من سنين، وقام بتغييره بإرادته المحضة؟!

فكانت شبه الإجابة السماوية، حينما أفتح زكوان عينبه، وجد يدين تمسكان بيده فنظر إلى صاحب اليدان الناعمتان ليجدها يوكابد حبيبة القلب، فانتابته رعشة غريبة

كحلم قديم لازال يذكره، ذكره بعشق الطفولة، وحلم المراهقة، وحب العمر، قرأ في عينيها الشفقة، وقرأت في عينيه الندم، وتبادلا كلمات غير منطوقة وهما صامتان.

وكأن زكوان وقد غسل وجهه بماء الحقيقة، وتنفس هواء الصدق، وظل يصرخ في آبار الحقيقة:

- آسف، أنا آسف، هذا الوجه المشوه ليس وجهي، هذا ليس أنا، وهذا الجلد ليس جلدي، ليس جلدي ولست أنا لست أنا، وقرر أن يبدأ بداية جديدة،لكن أفضل بداية في الزمان والمكان هي مكان وجودي الآن، وفي الحال.

ثم أفاق على رنة من جرس "الموبايل" هاتفه المحمول، وقد جعل نغمة الهاتف أغنية لمحمد منير " لو بطلنا نحلم نموت... ".

- آلو

ماضي:

- زكوان يا جن، مبروك، طلعت التاني على جامعة القاهرة، مبروك يا باشا
- بجد والنبي صحيح؟ الله يبارك فيك، ومين طلع الأول علينا؟
- سامح بن د. فوزي المليجي
- وإنت عملت إيه يا ماضي؟
- أنا الحمد لله، جيبت جيد مرتفع، وانت جاي من رحلة اسكندرية إمتى؟
- جاي بكرة إنشاء الله
- طب كويس، إعمل حسابك نقدم في النيابة مع بعض إنشاء الله.
- تفتكر يا ماضي حينفع أقدم في النيابة؟
- ما ينفعش ليه؟ إنت مش طلعت التاني على الكلية؟

رد زكوان متأثراً بحلمه الطويل المأساوي النهاية :

- يعني مش حيقولولي إطلع برا يا ابن البواب؟

في مقولة لابن خلدون بتقول: " لا تولوا أبناء السفلة والسفهاء قيادة الجنود ومناصب القضاء وشؤون العامة؛ لأنهم إذا أصبحوا من ذوي المناصب اجتهدوا في ظلم

الأبرياء وأبناء الشرفاء و إذلالهم بشكل متعمد؛ نظرا لشعورهم المستمر بعقدة النقص والدونية التي تلازمهم وترفض مغادرة نفوسهم؛ مما يؤدي في نهاية المطاف إلى سقوط العروش ونهاية الدول "

- ايه يا ابني الكلام الكبير ده؟

واضح إنك لسه مصحيتش كويس، ومين قال إن إحنا أبناء سفلة أو سفهاء؟ إحنا مجرد أبناء بسطاء لكن مجتهدين ومن حقنا نقدم طالما تقديرنا يسمح ونتيجة تعبنا طول السنة مش حتروح هدر إن شاء الله. المهم؛ التقديم يوم ١/ ١ أوعى تتأخر.

تمت بحمد الله

يسرية محمد عبد الحميد سلامة

yousriasalama@yahoo.com

المؤلفة في سطور:

- ماجستير في القانون – جامعة الإسكندرية
- ليسانس حقوق – جامعة الإسكندرية
- دبلوم الدراسات العليا السياسية والدبلوماسية كلية التجارة – جامعة الإسكندرية
- دبلوم الدراسات العليا في الخدمة الإجتماعية (أسرة وطفولة) بتقدير جيد جداً
- دبلوم الدراسات العليا في التسويق بتقدير جيد – كلية التجارة – جامعة الإسكندرية
- بكالوريوس الخدمة الاجتماعية بتقدير جيد– كلية الخدمة الإجتماعية بالإسكندرية